مجلة الشهاب الجزء الرابع و الخامس
المجلد الرابع عشر
(عدد خاص باحتفال ختم التفسير الكريم)

مجلة إسلامية شهرية تبحث في كل ما يرقي المسلم الجزائري

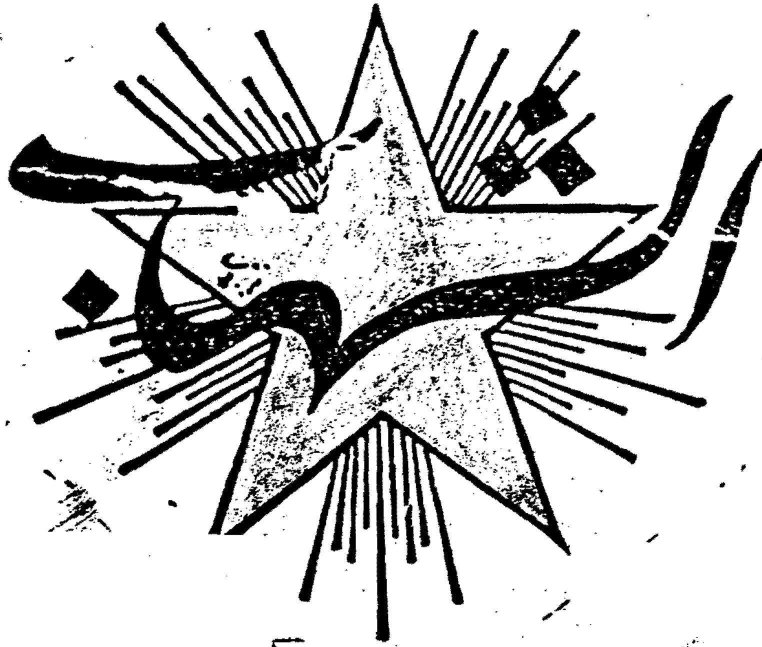
لمنشئها **الشيخ عبد الحميد بن باديس**



مبدؤنا في الإصلاح الديني و دنيوي

((لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها))

مالك بن أنس



العدد خاص باحتفال ختم التفسير الكريم

وقف لله تعالى

ثمن النسخة ١٠ فرنكات

المطبعة الجزائرية الإسلامية

قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين



أنشئت سنة ١٣٤٣



ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن

قسنطينة | (ربيع الثاني وجمادى ١ - ١٣٥٧هـ) | جوان جوليت ١٩٣٨

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وسلم

تمهيد

أتم الله نعمته على القطر الجزائري بختم الاستاذ عبد الحميد بن باديس لتفسير الكتاب الكريم درسا على الطريقة السلفية . وكان اكماله اياه على هذه الطريقة في خمس وعشرين سنة متواليات ، مفخرة مدخرة لهذا القطر . وبشرى عامة لدعاة الاصلاح الديني فى العالم الاسلامي كله ، تمسح عن نفوسهم الاسى والحزن لما عاق امام المصلحين محمدا عبده عن اتمامه درسا . ولما عاق حواريه الامام رشيد رضا عن اتمامه كتابة .

ان اكمال تفسير القرآن على تلك الطريقة فى مدة تساوى — بعد حذف الفترات — المدة التي أكمل الله نزوله فيها — يعد فى نظر المتوسمين إيذانا من الله برجوع دولة القرآن الى الوجود . وتمكين سلطانه في الارض . وطلوع شمسه

من جديد . وظهور المعجزة المحمدية كرة أخرى في هذا الكون .

ثم كان الاحتفال بختمه بمدينة قسنطينة في الثالث عشر من ربيع الثاني عام١٣٥٧ دليلا على انسياق الامـة الجزائرية المسلمة الى القرآن واستجابتها لداعى القرآن واجتماع قلوبها على القرآن وشعورها بلزوم الرجوع الى هداية القرآن—ولامعنى لذلك كله الا ان احياء القرآن على الطريقة السلفية احياء للامة التي تدين به.

ثم جاءت حفلات التكريم للاستاذ المفسر ولوفود القرآن . وما لقيته تلك الوفود من سكان الحاضرة القسنطينية من صدق الحفاوة وكرم اللقاء و بشاشة المظهر وتهالل الاسرة واكرام المثوى واغداق الضيافة — آية بالغة على أن القرآن عمل عمله فى تلك النفوس فجمعها على التقوى وهداها لكريم الخلال وبسط شعاعه على جوانبها المظلمة فتعارفت بعد التناكر وتآلفت بعد التخالف ويوشك أن يأتي بعد هذا التعارف الخير الكثير.

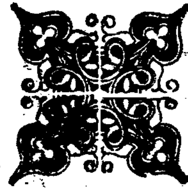
ولما كانت مجلة «الشهاب» هي لسان الحركة الاصلا[illegible]ي قربت ما بين الامة وبين قرآنها من بعد ، وازالت ما بينهما من جفاء . [illegible] المجلة حقيقة بأن تؤرخ لهذا الموسم القرآني العظيم وتدون وصفه وماقيل فيه ليبقى تذكرة خالدة للاجيال المقبلة . وصفحة لامعة فى تاريخ النهضة الدينية العلمية بالجزائر وعلما هاديا لمؤرخيها والباحثين عن أطوارها من أبناء الغد .

وهل يمنع من ذلك ان صاحب المجلة هو الاستاذ المفسر . وان معظم ماقيل في الاحتفال دائر على تقريظه والثناء عليه والتنويه باعماله ؟

قد كان بعض ذلك وابت للاستاذ همته العلمية واخلاصه العمل لله أن لاينشر في الشهاب الا ما هو من حقوق الدين والعلم والعربية دون ما هو من حظوظ النفس وتمجيد الشخص . ولكن اخوانه من رجال العلم والادب الحريصين على تخليد هذا الاجتماع القرآني المنقطع النظير . رغبوا منه أن يتنازل عن حقه من مجلة الشهاب

هذه المرة . واقنعوه بأن كل كلمة قيلت في مدح شخصه والثناء عليه فهي مصروفة الى اعماله . والى المبدإ الذي وقف حياته عليه والى النهضة التي كان — بحق — بانيها ومشيد اركانها . الى الامة التي أنفق عمره وقواه في سبيل نفعها وإحيائها . وبأن تسجيل هذه الصفحة الوضاءة من صفحات الاصلاح . من الواجبات على الشهاب لتتصل خطواته فى خدمة الاصلاح الديني وتسجيل اطواره . وتتناسق صحائفه المدونة لتاريخه واخباره — فاقتنع — حفظه الله — واذن فى ان يكون هذا العدد من الشهاب خاصا بالاحتفال وتوابعه . وطلب من رفيقه الوفي كاتب هذه السطور أن يكتب بقلمه كلمة في تصدير العدد . وكلمة فى تصوير الاحتفال وتلخيصا لما علق بذهنه من الفاظ درس الختم ومعانيه ففعل بقدر ما وسعه وقته وحاله ، وعسى ان نكون وفقنا لارضاء المتعطشين المترقبين الذين حبستهم الاعذار عن حضور الاحتفال .

تلمسان الابراهيمي



كلمة التصدير لهذا العدد

بقلم محمد البشير الابراهيمي

سئل بعض العلماء : أية آية تصلح أن تكون عنوانا على القرآن كله بحيث اذا كتبت على ظهر المصحف كانت تعريفا كاملا به ، شاملا لجميع المعاني الكلية التي يجدها المتصفح فيه كما تعرف الكتب الكبيرة بجمل قصيرة ، فكان جواب هذا العالم : الآية التي تصلح لذلك هى قوله تعالى : هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب.

ولعمري لقد وفق هذا العالم القرآني الى الصواب فيما أجاب به. فالقرآن كتاب يحمل في ثنييه دين الله الكامل. وكل ما سبقه من الكتب والصحف فهي ارهاصات له وبشارات به واشارات اليه . ابتعث به نبيه الامين محمدا صلى الله عليه وسلم لهذا العالم الانساني كله حين بلغ رشده الاجتماعي واستعد للكمال واستشرف لسائق من وراء العقل يكون سندا له اذا زل . وهاديا له اذا ضل . ومصححا لخطاه اذا أخطأ . ومخرجا له من ظلمات الحيرة اذا التبست عليه مناهج الحياة ومفسحا له فى آماله اذا ضيقت عليه هذه الحياة المحدودة حدود الآمال . ومحررا له من أصناف العبودية الفكرية والبدنية التي تقلب فيها قرونا . ومرشدا اياه الى وسائل الكمال التي كان يطلبها فلا يجدها .

والاية الكريمة التي جعلها جوابا لسائله بيان الهي معجز للحكم التي اقتضت نزول القرآن والحكم التي نزل لبيانها القرآن والمثل العليا للكمال الانساني الذي دعا اليه القرآن متدرجة في وضعها البياني تدرجها الطبيعي من نفس سامعا ، بلاغ

فانذار فعلم فتذكر .

وامثال هذا العالم من ربانيي هذه الامة ممن درسوا القرآن وتدبروه ومارسوه وراضوا أنفسهم على بيانه . واستنبطوا منه الحكم التي أنزل لتحقيقها والعلوم التي جاء لتجليتها على الناس — يكون من خصائصهم هذه الملكة ملكة استعراض القرآن فى مثل ارتداد الطرف كلما تحرك لهم وجدان وارادوا ان يزنوه . اونجم فى آفاق نفوسهم خاطر وارادوا ان يصححوه . او ألقي عليهم سؤال وارادوا أن يجيبوا عليه .

وما نظن بصاحبنا هذا انه راعى القانون الاصطلاحي الجدلي في انطباق الجواب على السؤال، وانما هى هيمنة القرآن على نفوس اصحابه . والهامها الاصابة في الرأي والتسديد في الجواب والفيح في الخصومة

فالسائل يطلب آية جامعة (لوظائف) القرآن — لا جرم ان أول ما يخطر ببال المجيب امثال قوله تعالى : يا يها الرسول بلغ الاية . وقوله تعالى : وأوحي الي هذا القرآن لانذركم به الاية . وقوله : قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد . وقوله تعالى : واوحى الي هذا القرآن لانذركم به وقوله : فذكر بالقرآن من يخاف وعيدي وغيرها من الايات المبينة لاصول الدعوة القرآنية — ثم يلتمس راية تجمع هذه الاصول مع التنويه بهذا الكتاب الجامع لها ، فيقع على تلك الاية او ما شاكلها والآيات الجامعة (لوظائف) القرآن كثيرة ومن السهل السريع الوقوع عليها عند هذه الطائفة التى اوتيت قوة الاستعراض .

وقد يسأل عالم آخر فيقع على قوله تعالى : هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين اوقوله: هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق . والكل مصيب رضي القانون الجدلي أم سخط . وان كان هناك تفاوت بين الايات فى الاحاطة والبيان فلكل جملة تزيد في آية موقع ودلالة . ولكل كلمة تزيد في جملة معنى وحالة .

أما أنا — ولا أعوذ بالله من كلمة أنا — فلو القي علي هذا السؤال لتمردت على قوانين الجدال وأجبت على المغافصة والارتجال، ولم ارع الا الاعتبار المناسب ومقتضى الحال. وجررت السائل (عن وظائف) القرآن الى (وظائف) أهل القرآن مع القرآن، وقلت للسائل: ضع على ظهر المصحف بالقلم العريض قوله تعالى: وهذا كتاب أنزلناه مبارك (فاتبعوه) واتقوا لعلكم ترحمون. وقوله: كتاب انزلناه اليك مبارك (ليدبروا آياته) وليتذكر اولوا الالباب واجعل جملتي (فاتبعوه) و(ليدبروا آياته) بين أقواس عل هذه الاقواس المحنية تصيب من قارئه شاكلة انتباه فتزعجه الى معرفة أن هاتين الايتين هما جواز الداخل الى اقطار القرآن وعل هذه القلوب القاسية تستشعر حق القرآن عليها ووظيفتها التى يجب أن تقوم بها نحوه، وهى التدبر لمعانيه واتباعه.

ان حقوق القرآن علينا من التدبر والاتباع، هى التي يعروها ما يعروها من الاهمال والضياع والتفريط والغفلة. فهي التي يجب التنبيه لها والذكير بها دائما والدلالة على مواقعها من آيات الكتاب العزيز، وهى التي يجب على العالم القرآني أن يختار للتذكير بها اصرح الايات في معناها واظهر الجمل في الدلالة عليها واقرب الالفاظ لاذهان الناس. واذا قارنا بين (لينذروا) وبين (ليدبروا آياته) وجدنا بينهما فرقا جليا لا يستهان به في مقام التذكير والابلاغ في التاثير فان الانذار — وان كان معناه الاعلام بالشيء مع التخويف من عواقبه — لا يستلزم التدبر الذي هو انفعال نفساني ذاتي يفضي الى النظر في ادبار الشيء وغاياته على وجه من التكلف والتدرج يفيده بناء تفعل، واثر الانذار تاثير خارجي، واثر التدبر تأثر ذاتي والانذار لا يشعر النفس ما يشعرها التدبر من العهد المسؤول والامانة الثقيلة

اما الاتباع فهو ثمرة التدبر وهو الذي لا تتحقق الغيات التي يرمي اليها القرآن الا به، وقد تكرر ذكره في القرآن في معارض شتى تدل مستعرضها

على أنه هو سر التدين و التأله . و انه المحقق للكمال و انه العاصم من الضلال و الهلاك فليتدبر التالي هذه الامثلة من الايات القرآنية : اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه . فاتبعوني يحببكم الله . واتبع سبيل من اناب الي. اتبعوا المرسلين. اتبعوا من لايسالكم . فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها . واتبعت ملة آباءي

ويا للعجب من بيان القرآن وبيناته واعجازه بفنون ايجازه — ان الاتباع ضرب من قفوا اثر الغير وترسم خطاه والانقياد له وجعل الهوى تبعا للهوى مع اطمئنان بالمشاركة فى النتيجة خيرا كانت اوشرا . وفي معناه من الهجنة انه ينا في الاستقلال الفكري فى الفكريات والذاتي فى الذاتيات فتجد القرآن يدفع عنك أثر هذه الهجنة العارضة فيامرك بالتدبر واستعمال الحواس الظاهرة والباطنة في وظائفها الفطرية قبل أن يامرك بالاتباع. حتى تطمئن الى انك انما تتبع فيما فيه حق وخير ورحمة ثم اذا أمرك بالاتباع فانما ذاك فيما يتعالى على فكرك ادراكه او يصعب عليك تمييزه او يخاف فيه غلبة الاهواء عليك . وبعد الامر ينهى عن اتباع الهوى المضل عن سبيل الحق . وعن اتباع اهواء الذين لايعلمون. وعن اتباع خطوات الشيطان وعن اتباع أولياء من دون الله وعن اتباع السبل المتفرقة — توكيدا للمعنى الايجابي وايضاحا للحق الذي يجب أن يتبع .

إلا ان المتدبرين للقرآن لا يخرجون من هذا الاستعراض البديع الا مؤمنين موقنين بان الاتباع الذي يدعو اليه القرآن هو عين الاستقلال التام للفكر والارادة والعقل والوجدان ، لانه يحميها من شرور الاهواء ويؤويها الى حمى الحق وحده والاحتماء بالحق الذي قامت به السموات والارض واستقر عليه تدبير الكون ونظامه — استقلال ما وراءه استقلال .

(ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم

بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون)

* * *

هذا حق القرآن علينا يجب ان نتخذ الايات المنبهة عليه فواتح فى المدارسة وان تتجاوب اصداؤها فى جوانب نفوسنا حتى لا ندخل بحرمه الا بعد ان نكون عرفنا حقه ،

انه لم يمض على المسلمين فى تاريخهم الطويل عصر هم فيه ابعد عن القرآن منهم فى هذا العصر ولم يمض على الدعاة الى الحق وقت عظمت فيه العهدة واستغلظ الميثاق مثل هذا الوقت وانه لا مخرج لهم من هذه العهدة ولا تحلل من هذا الميثاق الا بالدعوة الى القرآن . فلا عجب — ونحن نشعر بثقل هذه الامانة — من أن ترتفع اصواتنا بالدعوة اليه . وانما العجب الذي لا عجب بعده أن نسكت او نقصر وان من احكم الوسائل لجذب الامة الى القرآن وصف القرآن . وتشويق الناس الى الاقبال عليه وتدبره وفهمه .

فمن التسديد فى الراي والمقاربة في العمل ان ترشد الامة الاسلامية الى معرفة ما ضيعت من خير وماخسرت من هداية ، بتضييعها للقرآن وانما تعرف ذلك ويبلغ مكامن الوجدان من نفوسها — من وصفه والاشادة بشانه والتنويه بجلاله وخطره والتنبيه على ما يحتوي عليه من العلوم الكثيرة بالفاظ قليلة . وتقريب ما ينطوي عليه من المرامي المفيدة . بالكلمات القريبة . وشرح ما فيه من الحقائق المتفرقة بالجمل الجامعة ، فان ذلك يكون ادعى لرجوع النفوس الجامحة عنه اليه واعون على فيأتها الى حماه والاستظلال بظله والاستمساك بحبله .

وليت شعرى . اي بيان يضطلع بهذا ؟ إن وصف القرآن واساليب التشويق الى القرآن لا توجد على اكملها في غير القرآن فلو ان البلغاء من كل امة وفي كل جيل اجتمعوا على ان يصفوه ببعض ما وصف به نفسه . وكانت قلوبهم على قلب رجل

واحد وألسنتهم على لسان رجل واحد لعجزوا وقعد بهم القصور دون الغاية من ذلك.

ولقد وصفه جماعة من الباحثين فى اعجازه واسراره. والمتكلمين على قصصه واخباره. والمنقبين عن مثلاته وعبره. والغائصين على نكت التناسب بين آيه وسوره. فجاءوا بما يشبه قصورهم الانساني لا بما يشبه كماله الالهي! ووصفه قبلهم اعداؤه اللد من مضغة الشيح والقيصوم او صافا منصفة فما بلغ هؤلاء ببلاغتهم ولا اولئك بايمانهم وعلومهم غاية مما يريدون. وصفه الوليد بن المغيرة فقال: ان له لحلاوة. وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر. فعبر بهذا الوصف عن وجدانه النفسي وعن اثر القرآن في ذلك الوجدان. ولاتصال الشعور بالوجدان جاء هذا الوصف شعريا كما ترى. وكانه إنصاف منتزع من نفس جائرة. واقرار مقتلع من سريرة حائرة.

ووصفه شرف الدين البصيري وصفا لا غاية بعده من كلام المخلوق في الروعة الشعرية وتمكن الاقتباس وصدق التمثيل فقال:

الله اكبر ان دين محمد * وكتابه أقوى وأقوم قيلا
طلعت به شمس الهداية للورى * وأبى لها وصف الكمال أفولا
والحق أبلج في شريعته التي * جمعت فروعا للهدى وأصولا
لاتذكر الكتب السوالف عنده * طلع الصباح فأطفىء القنديلا

ويالله لهذا التمثيل المحكم فى المصراع الاخير وما يحدثه في النفوس المفتونة بالمحسوسات.

***

إننا نعد من اعجاز القرآن فى البلاغة ما هو شائع فى جميع آياته من الدقة المتناهية في تحديد المعاني وتصوير الحقائق وتنزيل الالفاظ في مراتبها وتلوين الاساليب والتزاوج بين الصفتين او الصفات حتى كأنهما صفة واحدة كالقوي

الامين . والغني الحميد . والحفيظ العليم . والعليم الحكيم . فليقصر الواصفون وليدعوا القرآن يصف نفسه بتلك الدقة العجيبة وذلك التصوير الرائع . وليسلك الدعاة سبيلهم الى نفوس الناس بهذه الاوصاف الرائعة من هذه الايات الجامعة . فان ذلك أدعى الى التاثير والتأثر وابلغ فى باب التشويق . من كل تبويب في الكلام وتحبير وتزويق .

أين يقع كل ما وصفه به البشر من قوله تعالى : يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ، وما فى هذه الاية من جمع اصول الاصلاح التى جاء بها القرآن مرتبة فى الذكر ترتيبها في الوجود .

وأين يقع كل ذلك من قوله تعالى : قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور ؟ اللهم لا ..

***

كانت الامة العربية قبل الاسلام — ومثلها جميع الامم — في جاهلية جهلاء . فهي من الوجهة الفكرية فى احط الدرجات . ومن الوجهة الاجتماعية فى أخس الحالات . وكانت لا تملك من اسباب النهضة الا لسانا قويما وفطرة غير معقدة . ولكن ما ذا يغني اللسان الخصيب اذا كان يصدر عن فكر جديب ؟ فجاءها الله بالقرآن وفيه كل ما كان الفكر العربي يتطلبه من العقائد النقية والحقائق العلمية وكل ما كان اللسان العربي يصبو اليه من آفاق وميادين . فنهض العرب به وبلسانهم الذي نزل به وأنهضوا الامم معهم تلك النهضة التي زلزلت العالم الروحي العقلي فاذهبت مخارقه وثبتت حقائقه . وزلزلت العالم المادي فذهبت بطغيانه وشروره ورذائله وأقرته على التشريع العادل والمعاملة الرحيمة . ثم لاءمت بين الروح والمادة

بمعاني التوسط و الاعتدال البادية في عقائد الاسلام وآدابه واحكامه وجاءت بالمعجزة الكونية الكبرى في تحقيق الحلم الانساني بتلك الملاءمة وهي أمنية عجزت عن تحقيقها كل تعاليم الارض ولم تف بها تعاليم السماء قبل الاسلام لحكمة وأمر قد قدر .

وانساح الاسلام في الارض يزجي جيوش الاخلاق قبل جيوش الخلائق وبسط ظله على الاقطار الممتازة بخصوبة الارض . وعلى الامم الممتازة بخصوبة الفكر وزرع تعاليمه في عقول مستعدة وافاض عليها من روحه ان الغاية فى هذا الوجود سيادة فى الحق وسيادة بالحق وأن لا سبيل اليهما الا بالعلم والعمل وأن عمران الارض متوقف على عمران العقول والنفوس وبنى بذلك تلك الحضارة التى لا ينكرها الا مكابر يماري فى الشمس وضحاها .

إن الآفة الكبرى التي قضت على الحضارات وجعلت عاليها سافلها — هى التفرق بين بناتها والمستحفظين عليها ، وقد كان للمسلمين — من بين الامم القديمة والحديثة — معتصم باذخ لو اعتصموا به لوقاهم من التفرق فوقى حضارتهم من الانهيار . وهو القرآن ودينه الاسلام . — نعمة خصوا بها دون الامم —

كانت تعصف بهم من عواصف التفرق وتثور فيهم من طبائع الملك وغرائز المنافسة فيه ما أقله كاف فى تدمير الممالك وتتبير الحضارات فيرجعون الى القرآن ويعتصمون بالاسلام فيجدون فيهما الوزر الواقى. الى ان داخلتهم الاعراق المدسوسة. وما زجتهم الجراثيم الغريبة وابتلوا بلقاح سوء مما أفسد من قبلهم وكان من تاثير ذلك انهم انتقلوا من التفرق الذي يعصم منه الدين الى التفرق في الدين نفسه وفي القرآن نفسه . ثم زهدوا فى الدين فلم تبق الا الصور العملية بلاروح . وزهدوا فى القرآن الا الالفاظ المتلوة بلا تذبر . حتى كانت عاقبة امرها خسرا . وذاقت السوء بما صدت عن سبيل الله .

ان اسلافنا قاموا بما شرط عليهم القرآن فى قوله : الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر. فتحقق معهم وعد الله فى القرآن : وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا . فكانوا خلفاء الارض يقيمون فيها الحق والعدل وينشرون فيها الخير والرحمة ويطهرونها من الشرك والوثنية ويحققون حكمة الله باقامة سننه الكونية والشرعية ، لا يراهم الله الا حيث يرضيه ان يراهم . لان مما أفادهم القرآن استجلاء العبر من قوله تعالى . ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون وقوله تعالى هو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم . وقوله تعالى : أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم .

وكان هؤلاء السلف يعلمون لما ذا انزل القرآن ؟ ويعلمون انه كتاب الدهر ودستور الحياة . وحجة الله الباقية الى قيام الساعة وأنه واف كل الوفاء باسعاد البشر في الحياتين وان عدم فهمه وعدم العمل به وعدم تحكيمه كل ذلك تعطيل له ،

ففهموه أولا وحكموه في أهوائهم ونزعاتهم فاستاصل باطلها ولطف من نزواتها ورجعوا اليه في فهم الحقائق الغامضة فى الحياة والدقائق المشكلة في الكون ولاخلاق التي يجب ان يتعايش بها الناس — فرجعوا الى معصوم لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

وقد انضوت تحت لوائه امم مختلفة الاهواء والمنازع والفهوم فوحد أهواء وقارب بين منازعها وفهومها ووفق بين مصالحها وهذه النقطة التي عجزت عنها التربية التعليمية والقوانين الوضعية الى يومنا هذا .

يعتقد المسلمون كلهم ان سلفهم كانوا اكمل ايمانا من خلفهم وهذا صحيح

ولكنهم لا يبحثون عن علة كمال الايمان فى السلف حتى لكانهم يعتقدون ان ذلك بوضع الهي و تخصيص رباني لا يد للكسب فيه وهذا خطأ فاحش و جهل فاضح

وما دام الكلام فى الايمان فهاته وانظر كيف فهمه السلف ومن أي معين استقوا فهمه ومن اي أفق استجلوا حقائقه . ثم انظر كيف فهمه الخلف ومن اين سقطت عليهم هذه الفهوم السخيفة . ثم ارجع كل معلول الى علته بلا اجهاد للذهن ولا انضاء للقريحة .

ان السلف تذرعوا لفهم القرآن ذريعتين الذوق العربى الصحيح . والسنة النبوية الصحيحة وقد كانوا يؤمنون بانه كل لا يتجزأ وان بعضه يفسر بعضه وقد استعرضوه بعد فهمه بتلك الذرائع ، فوجدوه يعرف الايمان بالصفات اللازمة والتي يتكون من مجموعها . فيقول : انما المؤمنون الذين آمنوا بالله والرسول ثم لم يرتابوا الاية ويقول : انما المؤمنون اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا . ويقول : قد افلح المؤمنون الى آخرها . ويقول : ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الى آخرها ويقول : وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى آخرها . ويقول : غيرها من الايات الجامعة لشعب الايمان وخصاله وصفاته الذاتية ، ثم وجدوه لا يذكر الايمان في المعارض المختلفة الا مقرونا بالعمل الصالح ففهموا من القرآن ماهو الايمان وما هى الاعمال الصالحة فآمنوا وعملوا الصالحات فكان ايمانهم اكمل ايمان بالعمل والكسب لا بشيء آخر من الخوارق والاختصاصات . وعلى هذا النحو فهموا العبادة وتوحيد الله وكمالاته المطلقة والرسل ووظائفهم والملائكة الخ

اما الخلف فقد عدلوا عن هذا كله منذ صاروا يفهمون الايمان من القواعد

التعليمية وفقدوا الذوق والاسترشاد بالسنة

ان هذه القواعد الجافة التي لا صلة بينها وبين النفس انما تنفع في الصناعات الدنيوية اما في الدين فانها لا تغني غناء وقد افسدته منذ اصارها الناس عمدة في فهمه حتى ضعف ايمانهم وضعفت تبعا له ارادتهم واخلاقهم وكيف يفلح من يعدل في تفهم الايمان عن الايات المتقدمة الى قولهم ان الايمان هو التصديق وان النطق شرط اوشطر فيه وان النسبة بين الايمان والاسلام كذا الى آخر القائمة ؟ وكيف يكون مؤمنا (حقا) من يبني ايمانه على هذا الجرف الهاري ؟

ان هذا موضوع واسع الجنبات وهو يتصل بباب امراض المسلمين واسبابها ولا تتسع هذه الكلمة لبعض القول فيه فكيف باستيعابه

* * *

تدبر القرآن واتباعه هما فرق ما بين اول الامة وآخرها وانه لفرق هائل فبعدم التدبر أفقدنا العلم. وعدم الاتباع افقدنا العمل. واننا لاننتعش من هذه الكبوة الا بالرجوع الى فهم القرآن واتباعه ، ولا نفلح حتى نؤمن ونعمل الصالحات . (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون)

وان هذه النهضة المباركة المنتشرة اليوم في الاقطار الاسلامية بشير خير بقرب رجوع المسلمين الى هذه الهداية — لان هذه النهضة بنيت أصولها على الدعوة الى كتاب الله وتفهمه والعمل به . وقد كان من بواكير ثمار هذه النهضة في باب التاليف تفسير الامام النقاد محمود الالوسي على مافيه من تشدد في المذهبية . وتفسير الامير صديق حسن خان ثم جاء امام النهضة بلا منازع وفارس الحلبة بلا مدافع الاستاذ الامام محمد عبده فجلا بدروسه في تفسير كتاب الله عن حقائقه التي حام حولها من سبقه ولم يقع عليها . وكانت تلك الدروس آية على ان القرآن لايفسر الا

بلسانيين لسان العرب ولسان الزمان ... وبه وبشيخه جمال الدين استحكمت هذه النهضة واستمر مريرها . ثم جاء الشيخ محمد رشيد رضا جاريا على ذلك النهج الذي نهجه محمد عبده فى تفسير القرآن . كما جاء شارحا لارائه وحكمته وفلسفته فى الدين والاخلاق والاجتماع ، ثم جاء أخونا وصديقنا الاستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس قائد تلك النهضة بالجزائر بتفسيره لكلام الله على تلك الطريقة وهو ممن لا يقصر عمن ذكرناهم في استكمال وسائلها من ملكة بيانية راسخة وسعة اطلاع على السنة وتفقه فيها وغوص على اسرارها . واحاطة وباع مديد فى علم الاجتماع البشري وعوارضه . والمام بمنتجات العقول ومستحدثات الاختراع ومستجدات العمران يمد ذلك كله قوة خطابية قليلة النظير . وقلم كاتب لا تفل له شباة ،

بارك الله في عمر الاستاذ فاتم تفسير كتاب الله ببيانه المشرق في خمس وعشرين عاما من غير ان تختل اعماله العلمية الكثيرة ولا اعماله المستغرقة لدقائقه في سبيل هذه النهضة . وعرفت الامة الجزائرية قيمة ما اتم الله على يد الاستاذ فاحتفلت بهذ الختم كاعظم ما تحتفل أمة ناهضة باثر ناجح من آثار جهودها . وكان من الاحسان في هذا العمل العظيم ومن الاحسان للنهضة أن تسجل من هذا الاحتفال صورة منبهة على حقيقته فصدر هذا العدد من الشهاب وهو لسان حال هذه النهضة — خاصا بهذه المنقبة مخلدا لهذا الاثر . مسجلا لبعض اوصافه وما قيل فيه .

ونحن بما لنا من الصلة الوثيقة بهذه النهضة ومن العمل النزر فيها نغتبط بهذه الخطوة السديدة وهذه المرحلة الجديدة التي تمت بختم التفسير ونرجو ان تكون فى المرحلة الثانية أوسع مدى في الهداية وأكثر حظا من التوفيق . ونهنيء أخانا الاستاذ بما خصه الله به من التوفيق فى خدمة دينه ولغته وأمته

محمد البشير الابراهيمي

كلمة فى الاحتفالات

وتصوير وصفى الاحتفال العظيم

بختم القرءان العظيم

بقلم الاستاذ محمد البشير الابراهيمي

الاحتفالات — بنظامها العصري — مجامع مفيدة من جميع جهاتها، لجميع روادها، فهي بالنظر العام ادوات تعارف وتواصل وربط بين من لم تتهيأ لهم أسباب الاجتماع الا في هذه الاحتفالات. وأسواق بضائعها الخطب والمراجعات القولية، وارباحها الايجابية آداب الاجتماع. وتلاقح الافكار، واقتباس الكلمات واستيقاظ الهمم. واستعجال الاراء. وانتشال التفكير من المستوى العامي الغث. وصقل الاذهان، وتمكن مجموعة من الملكات منها ملكة استعراض الاراء وملكة استجماع الخواطر — وأرباحها السلبية زوال الدهشة من لقاء الناس والاستيحاش منهم وغشية الاضطراب والارتباك. والبرء من آفة العي والحصر. وهى — لعمرك — نقائص. حظ مجتمعنا — على الخصوص — منها عظيم.

وهى للدعاة ميادين دعاية يجدون فيها متسعا رحبا لنشر آرائهم بدون كلفة وبدون نفقة لانها تحشد لهم طبقات من الناس ما كانوا ليستطيعوا جمعها.

وهي للمرشدين والمربين الاجتماعيين فرص لبث الارشاد بين الجمهور وتوجيهه للخير والمنفعة.

وهي للخطباء وأصحاب اللسن ذرائع تمرين وارتياض على الكلام وتوسع في وجوه القول وتمرس بمكافحة الجموع، — وهذه كلها فوائد لا يستهان بها فى باب

التربية

إن هذه الاحتفالات بمثابة دروس تطبيقية معظم تلامذتها من الدهماء الذين حرموا المدارس والدروس النظامية . واذا كان هذا الصنف كثيرا فى الامم فمن الرحمة به وحسن الرعية له ومن الحكمة في استصلاحه وتربيته أن يوسع له فى هذه الاحتفالات ويكثر له منها وأن تبتكر له المناسبات لاقامتها .

وإن أكثر الناس استفادة من الاحتفالات وابلغهم افادة فيها وأثقلهم عهدا فى توجيهها الى الصالح النافع أو الى الفاسد الضار — هم الخطباء فعليهم وحدهم يتوقف اصلاحها أو إفسادها ، وليست خصوصية الاسباب ولا تحديد النظم بمانعة للخطباء من بلوغ غرضهم ما دام باب المناسبات والاستطرادات واسعا رحب الجوانب وما دام وجود الخطباء فى الاحتفال جزءا ضروريا بحيث لو خلا من عنصرهم — في هذا العصر — احتفال لكان زردة متمدنة مظلومة في اسمها فوجودهم هو الفارق الجوهري بين مسمى (احتفال) ومسمى (زردة)

***

تتفاوت الاحتفالات بتفاوتها في سمو المعاني التى تقام لاجلها . فبقدر سمو السبب وعموميته تكون قيمة الاحتفال ثم تنزل تلك القيمة وترخص كلما تفه السبب او خص حتى تصل الى درجة الساقط الذي لاوزن له . ولا يدخل فى هذا الباب الا بضرب من التوسع والتساهل

فأسمى هذه الاسباب ما يذكر الجمهور بامجاده التاريخية ومفاخره القومية وفيه نخوة أماتها الضيم ، وفحولة قضى عليها التأنث وذكرى أخنت عليها الغفلة والنسيان واصالة خبثتها الاعراق الدسيسة ، وعزيمة أطفأتها طباع الضعف والفسولة واريحية غطى عليها اللؤم المخزي والشح المطاع . وشواعر خدرتها تهدئة الدخيل وزمزمة الحاوى وهينمة الواغل ...

ثم ما يجلو عليه حقيقة دينية أو علمية غشيتها الاوهام والخرافات

ثم ما يحقق له مصلحة في الحياة كانت مجهولة أو حقا فيها كان ضائعا

ثم ما يكشف له عن وجوه الاصلاح الاجتماعي ليعملوا له . وعن وجوه الفساد فيه ليتقوه

ثم ... لا ثم ...

هذا من جهة الاسباب والبواعث. فاما من جهة الاشكال والصور فأعلى ما فيها ان ينساق اليها الجمهور بسائق وجداني . واخس ما فيها أن يساق اليها سوقا . أو أن يخدع فيها عن وجدانه بالمرغبات الخادعة .

***

لكل أمة أسباب طارئة وبواعث تاريخية تدعوها الى اقامة الاحتفالات . وقد تنبهت الامم الحية الى ما فيها من الفوائد فجعلت الاحتفال بها جزءا من حياتها ومادة من قوانينها الاجتماعية . وان الامة الاسلامية لاغنى الامم من هذه البواعث التاريخية . وكلها من ذلك الطراز العالي الذي اشرنا اليه . ومعظمها بواعث دورية يفضى الباعث منها الى باعث فلا تفتأ الامة مستعرضة ماضيها كله ولا تزال فى غمرة من المنبهات المنعشة .

عندنا معشر المسلمين ليلة الميلاد النبوي وعندنا يوم الهجرة ورأس السنة الهجرية . ويوم بدر ويوم أحد ويوم فتح مكة وغير ذلك من الاحداث التي وقعت فى عهد النبوة ولكل واحد من هذه الاحداث مغزى سام وأثر بالغ في تاريخنا وهلم الى ما بعد ذلك من الوقائع الشهيرة الفاصلة حتى تنتهي الى فتح صقلية ومواقع الحروب الصليبية وفتح القسطنطينية وهلم ما يخصنا معشر الافارقة كبناء القيروان واستواء طارق على الجبل . وهلم ما تقتضيه المناسبات فى بعض الاوقات كفتح خيبر ودخول عمر لبيت المقدس . وتعال الى القواد والفاتحين والاجواد

والعلماء والحكماء والفلاسفة والشعراء — ولا تعد من الدر الاكباره — تجد ما زخرفه التاريخ وفاضت به العصور. ومع هذه المفاخر فقل ان تجد قطرا اسلاميا سن اهله سنة صالحة في احياء هذه الذكريات واحياء الامة بها. الا في القليل المشوه الذي لا ينقع غلة ولا يصيب مرمى .

إن غفلتنا عن إحياء ذكريات امجادنا التاريخية هي التى أزهقت في الامم الاسلامية روح التأسي فافقرتها من الرجال وجعلت تاريخها الحديث خلوا من المثل العليا . حتى اندس هذا العرق الخبيث في آدابنا فترانا اذا التمسنا مثلا في الجود طوينا تاريخ الاسلام كله كانه صفحة مغسولة وجئنا من العصر الجاهلي بحاتم وقل مثل ذلك في عنتر والسموأل . فاذا قصرنا الخطو وقاربنا النجعة وقفنا عند العصر الاول للاسلام . فهل خلت العصور التي بعدهم من مثل كاملة ومن مفاخر خالدة ؟ لا . فقد تأسى عصر بعصر وجيل بجيل فجاءت عصور زاهرة وأجيال عامرة . فلما جهل التاريخ وانقطعت العلائق الواصلة بين عصوره ضعفت روح التأسي ثم تلاشت وصرنا الى هذا الفقر الشائن في المثل . وهذا الخواء المزرى في التاريخ .

وقد زادتنا أضاليل الغاشين إمعانا في الغفلة وإغراقا في الركود . ففقهاء هذه العصور الجرداء يعدون التاريخ علما لا ينفع وجهالة لا تضر والاجانب يعيروننا بأننا أمة تعيش في الماضي ويغشون سفهاءنا في معرض التنصح بامثال هذه الكلمات ليا بالسنتهم وتزهيدا في هذا الماضي زيادة على زهدنا فيه . وهم يعلمون أننا نعيش بلا حاضر . ويوجسون خيفة من أن يلم بنا طيف من ذلك الماضي الزاهر فنبني عليه حاضرا من جنسه أكمل منه

الا انهم — من افكهم — ليقولون : دعوا ماضيكم فهل تركوا هم ماضيهم ؟ إننا نراهم أحرص الناس على الاعتداد به والاستمداد منه والامتداد معه الى عصور الخرافات والاساطير .

وما لنا وللغاش والناصح ! إن لنا لماضيا عبقريا حسدتنا عليه الامم التوالي . بعد ان جرضت به الامم الخوالي . فمن مصلحتنا وحدنا ان نحيي ذكرياته في نفوسنا وأن نستمد منه قوة لارواحنا وأن نربي ناشئتنا على احتذاء مثله وعبقرياته . وإن إقامة الاحتفالات لتلك البواعث لطريق قاصد الى ما نريد من ذلك .

***

سنت مجلة « الرسالة » الغراء نوعا من الاحتفاء ببعض هذه البواعث فجرت على اصدار عدد ممتاز للسنة الهجرية وجلا كتابها الكرام علينا عبرا كانت مخبوءة وأثاروا فى نفوسنا ذكريات كانت منسية . ورأينا من بركات هذه السنة التي سنها الاستاذ الزيات أمتع الله به . أن أقلاما عربية متينة كانت متنكرة للاسلام وتاريخه تعفر وجههما الصبوح بالغبار وتمج فى مشرعهما الصافي السمام المنقع — وقد أصبحت تفتن في إبانة حقائقهما واظهار معالمهما بما أوتيت من قوة بيان ونصاعة برهان ، ثم كتب الاستاذ صاحب الرسالة مرة او مرتين — لا اذكر — فى ذكرى يوم بدر ، وكأنه حفظه الله — يريد بهذا الصنيع أن يجعله منبهة للامم الاسلامية الى ما وراءه من خير ، ولكن لم يكن على منهاجه الا القليل .

ومنذ سنوات احتفلت عصابة من أحياء القلوب والشواعر بموقعة حطين وهي من المواقع الفاصلة في الحروب الصليبية ومن الصفحات المشرقة فى تاريخ صلاح الدين وتكلم فيها جماعة من رجال الاسلام ونشرت كلماتهم فى كتيب وقرأناه فاذا هو احتفال يثير رواكد الهمم . ويكاد ينفخ الحياة فى الرمم . ولقد — والله — أشجاني وأبكاني — وما زال يشجيني ويبكيني كلما ذكرته — قول صديقنا الاستاذ خير الدين الزركلي فى أنشودة حطين :

لكل أمر حين * خل البكا حينا
هاتي صلاح الدين * ثانية فينا

الشامخ العرنين * عزا وتمكينا
وجددي حطين * أو شبه حطينا

لك الله أيها الشاعر . وهل ياتيك بصلاح الدين الا أمتك ؟ وهل يجدد لك حطين الا قومك الذين بدأوها . ولكن ، هل أمتك مستعدة لان تاتيك بصلاح الدين مرة أخرى ؟ وهل قومك أهل لان يجددوا موقعة حطين وفيهم أمثال عبد الله ....؟

قد خلت الاجام * من رابض فيها
أحيي في أمتك وقومك خلق التأسى بمن قلت فيه
فصاح : لا عدوان * لا بغي لا إرهاق
قد فرض الايمان * مكارم الاخلاق

وأنا الضمين بأنهما ياتيانك بجمع من صلاح الدين . ويجددان لك حطين . وأشباه حطين .

لا نريد للمسلمين أن يعكفوا على تلك الاحتفالات المولدية الشائعة التي يقتصر فيها على تلاوة القصص المشوهة ، فان ذلك الطراز لا يتفق مع شرف الذكرى وجلالها . وان القصص المولدية الحشوية . والخطب المنبرية الرائجة هما سبب تنويم هذه الامة وأصل بلائها .

ولا أن نعكف على ذلك النوع الشائع في مصر كمولدي البدوي والرفاعي وغيرهما فإن ذلك النوع — زيادة على إفساده للدين والاخلاق — لا يثير فى النفوس ذكريات ماجدة ولا معاني شريفة وإنما يمكن فيها للتخريف والدجل .

ولا ذلك النوع الشائع في الاوساط الشيعية من احتفالهم يوم عاشوراء بذكرى مقتل الحسين عليه السلام فإنه فضلا عما يقع فيه من المنكرات المخجلة — لا يثير الا الحفائظ والاحن ولا يثمر الا توسيع شقة الخلاف . ولقد حضرت احتفالهم

مرة واحدة بدمشق في تربة تعرف بأرسلان فعجبت كيف تصدر تلك الشناعات من مسلم وعلمت لاول مرة : الى أي حد ينتهي التعصب والغلو ، ثم ذاكرت عالم الشيعة بدمشق الشيخ عبد المحسن العاملي وهو عالم فاضل أديب معتدل في ذلك فأنكر ما أنكرت بالقول واعتذر عن الانكار بما فوق ذلك بما يعتذر به علماء الدين في كل مكان .

لا نرضى للمسلمين بهذا الطراز البالي من الاحتفالات التي ذكرنا بعض أنواعها فقد عكفوا عليها قرونا فما زادتهم الا خبالا وانحطاطا ، وانما نريد منهم محوها واستبدالها بما هو خير .

وقد تتابع السواد الاعظم من إخواننا المصريين فى هذا النوع السخيف مثل ما تتابع الفريق المثقف منهم فى تقليد الغربيين فى هذا الباب بلا تحفظ ولا استمساك . فبينما سواد الامة وعديدها الاكثر عاكف على الاضرحة يقيم حولها احتفالات الموالد ويرجو منها الامداد وعلماء الدين يمدونهم فى الغي بسكوتهم . ومشيخة الازهر تزكي أعمالهم بتقبيل شيخها لمقود جمل المحل — نرى الطرف الاخر يتهالك على تقليد الغربيين فى ولائمهم واحتفالاتهم السخيفة بالتوافه والسفاسف ويستهتر فى هذا التقليد حتى تطغى احتفالات الغرب الدينية والقومية حتى على المواسم الشرقية الدينية ، وهذه جرائدهم ومجلاتهم تشهد — فى ضجر وعتب أو في رضى واعتاب — بأن هذه الطائفة — وهم عمار الحواضر يحيون ليلة الميلاد المسيحي وعيد رأس السنة المسيحية ولا يأبهون لعيد الفطر ولعيد الاضحى .

ولعمري ان هذا لهو الاستعمار الروحي الذي لا يعد الاستعمار المادي معه شيئا مذكورا !

أولم يكن لهم آية أن شوقي رحمه الله يقول على لسان كليو باطرة ملكة مصر تخاطب خدم قصرها :

لا تسيروا على ولائم روما * سرفا في الفسوق واستهتارا
مصر إن أولمت سمت بالاغاني * درجات وأسمت الاشعارا

فهذه كليوباطرة وهي كما يقولون . أنشي أفنت العمر في الهوى أنفت (أو أنف لها شوقي) أن تسير ولائمها على ولائم روما . فلئن كان هذا الكلام مما ألم معناه بخاطر كليو باطرة وجرى لفظه على لسانها فهي أصدق وطنية وأنبل نزعة من هؤلاء المقلدين وإن كان انما تخيلها شوقى كذلك فما أراد الاعظة هؤلاء وما عنى الا أياهم، وما وجه الخطاب الا اليهم . وليس شيء من ذلك بمستنكر على شوقي .

ويا ليت إخواننا هؤلاء استبدلوا غربا بغرب فقلدونا نحن — ما دام التقليد مبلغ جهدهم — فى كثير من هذه المعاني التي يقلدون فيها الغربيين ألسنا مغاربة ؟ ألسنا أحق باسم الغرب بالنسبة الى مصر ؟ وإنما أروبا شمالي مصر . وقد شرع لهم حافظ هذه التسمية في قوله :

فدعونا نشم ريح الشمال

أم يقولون : اننا برابرة ومتوحشون : فنعم وكرامة عين ولكننا مع ذلك شداد في الاستمساك بحبال الشرقية في كثير من مناحي الحياة . ولقد صاحبنا الاستعمار أكثر من قرن فما استطاع لنا هضما .

خالفنا الاتجاه قليلا ولمسنا ببعض العتب علاقة عزيزة علينا وعزيزا علينا أن نراها مسرفة في التقليد غالية فى المتابعة على غير هدى على حين نأتم بها ونعدها لامامة الشرق كله فليهنأ إخواننا أننا تلامذتهم ولكن في غير ماهم فيه تلامذة الغرب ...

***

لم تعرف الجزائر فى ماضيها من الاحتفالات الا تلك الصور العادية الساذجة

في العيدين الدينيين والا الزرد الموسمية في بعض الجهات. والا نوعا ءاخر هو أقرب الى الاحتفال المنظم لو خلا من المحظورات الدينية . وحلا بالمشارب القومية والفوائد الاجتماعية . والعامة تطلق على هذا النوع اسم (الاركاب) وهم يعنون جمع ركب بسكون الكاف كأركاب خالد بن سنان بصحراء بسكرة وركب عامر لقبر عطية قرب قلعة بني حماد وركب قسنطينة لقبر ابن عبد الرحمان بالجزائر . وركب البليدة لقبر الشيخ ابى مدين بتلمسان وكلها من شد الرحال غير المشروع وكلها قريبة من النوع الذي نعيناه على المصريين وان كانت أقل منه فسادا أو إفسادا .

وعرفت الحواضر الجزائرية شبه احتفال بالمولد النبوي يقتصر فيه على التجمير والتقصير وتلاوة قصة من القصص الحشوية الشائعة . ولقد حضرت — منذ سنوات — حفلة مولدية من هذا النوع بحاضرة الجزائر . وسمعت عالما أزهريا يقرأ على الناس قصة مولدية — لعلها مولدية المناوي — فسمعت من بعض ما كان يقول قوله: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى من أمام كما يرى من خلف بعينين خلقهما الله في قفاه ... وكان بجنبي فقيه مقريء خفيف الروح سلفي النزعة فتغامزنا بالانكار ولم نستطع جهرة اذ كان ذلك قبل انتشار الحركة الاصلاحية ثم أسر الي على سبيل الدعابة قوله : أبى الله الا أن نكون أسبق منكم لكل شيء فعندنا من هذه (الماركة) من العلماء من يقول ويكتب : إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يولد من السبيل المعتاد ....

ولبثت الجزائر محرومة من هذا النوع المفيد الذي يغرس المعاني السامية في النفوس بأسبابه وبواعثه . ويزرع المبادي العالية والمعارف والاداب في العقول بما يقال فيه إلى أن كان عهدها الاخير وكانت نهضتها العلمية الدينية . فلأوائل هذه النهضة شعرت بما للاحتفالات من أثر صالح في النهضات فالتفتت اليها وجعلتها إحدى ذرائعها لتعضيد الاعمال والمشاريع ونشر المبادي الصالحة وبث الافكار النافعة

وترقت بها مع الزمن حيث النظام واختيار المناسبات حتى أصبحت تنافس أرقى ما عرف من نوعها عند الامم الاخرى.

***

لعل أروع احتفال شهدته الجزائر فى عهدها هذا هو الاحتفال بفتح مدرسة «دار الحديث» بتلمسان فى أواخر شهر سبتمبر من السنة الحالية فقد كان بدعا من الاحتفالات في نظامه . وفى ضخامة العمل الباعث عليه . وفي جلال المناسبة والذكرى وفي احتشاد الامة له وفي علو الطبقة التي شهدته وتكلمت فيه من العلماء والشعراء ، وقد وصفته الجرائد فى حينه وإنما جلبته هنا مناسبة الحديث عن الاحتفالات

ثم جاء الاحتفال بختم الاستاذ عبد الحميد بن باديس لدروس التفسير بالجامع الاخضر بقسنطينة ـ وهو الذي ألهمنا كتابة هذه الكلمة — فكان شاهدا لما ذكرناه قريبا من تطور هذه الامة فى هذه الناحية . ودليلا على أن نظام الاحتفالات بلغ في هذا القطر كماله ، وعلى أن روح التأسي في الصالحات حييت فى هذه الامة وانتعشت وانها أصبحت تهتبل الفرص المواتية فتحسن الاختيار .

أذكر أننا كنا في جماعة من الرفقاء الاوفياء ـ تذاكرنا مرة في إقامة حفلة تكريم لرفيقنا الاستاذ بن بايس تنويها ببعض حقه على العلم وشكرا لاعماله الجليلة وآثاره الحميدة في التعليم بهذا الوطن، واعترافا بكونه واضع أسس النهضة . وانصافا لكونه اسبقنا إلى التعليم واشدنا اضطلاعا به وأكثرنا انتاجا وتخريجا فيه .. وذهبنا في تقدير الفوائد التي تجنى من هذا الاحتفال مذاهب لا غلو فيها ولا إسراف . ثم فاتحنا أخانا الاستاذ بهذه الفكرة فكان الجواب قوله : دعوا هذا حتى تختم دروس التفسير . — وبيننا يومئذ وبين الختم سنوات — كانه يرى أن عمله فى التفسير هو أجل أعماله في التعليم وأنه بإتمامه لهذا العمل يستكمل مزية الاستحقاق للتكريم والاجلال من أمته اذ يكون قدم لها عملا تاما ناضجا له

وصورة كاملة من مجهوداته زيادة على ما خرج لها من رجال .. كانه — حفظه الله — كان معلق البال بهذا العمل ويخشى أن تقطعه قواطع الدهر .

وأراد الله فحقق للاستاذ أمنيته من ختم التفسير وللامة رجاءها فى تسجيل هذه المفخرة للجزائر . ولانصار السلفية غرضهم من تثبيت أركانها بمدارسة كتاب الله كاملا ، وبدت مخائل الختم من أواخر السنة الخالية فكثر الحديث في الاسمار وفى المنتديات عن الاحتفال وصورت منه الخواطر احتفالا ملء الامل .

وكذلك كان . والحمد لله .

تألفت لجنة تنظيم بمركز الاحتفال (قسنطينة) وأعدت للاحتفال برنامجا محيطا محكما وجعلت شعاره كله (القرآن) فالوفود وفود القرآن والضيوف ضيوف القرآن ، وأذاعت توقيت الاحتفال باليومين الرابع والخامس من شهر ربيع الثاني ثم عدلت عنهما الى الثاني عشر والثالث عشر منه لعوارض قاهرة لا يملك معها الخيار . وأضر تأخير ذلك الاسبوع بطوائف من الامة كانت تسابق بالاحتفال أشغال الصيف وتكاليف الفلاحة . وهي تكاليف لا يملك معها الخيار أيضا ..

انهالت الوفود القريبة الدار على قسنطينة يوم الجمعة وتلاحقت الامداد يوم السبت وشعر الناس شعورا عاما أن الجامع الاخضر لا يسع الوافدين اذا انهال سيلهم وان محلا ما من المحلات العامة لا يسعهم أيضا . فألهموا من غير تواطؤ — العمل بقاعدة التمثيل فأرسلت كل بلدة وفدا محدود العدد يمثلها فلم تبق بلدة من عمالة قسنطينة كبيرة أو صغيرة الا ومثلها وفد في مهرجان القرآن فرأينا هناك وفود البلدان الساحلية من بجاية الى الحدود التونسية ووفود مناطق التلول من سطيف الى سوق اهراس ووفود المناطق الصحراوية من بسكرة الى سوف وتكاملت عقود هذه الوفود بوفد عاصمة الجزائر الضخم المؤلف من مائة وثلاثين شخصا ثم وفد تلمسان وهو أقصى الوفود دارا عن قسنطينة فبينهما ما يزيد عن الف ميل ولكن جاذبية

القرآن هونت عليه النصب واللغوب.

رأى الوفد التلمساني أن يقطع الطريق من الجزائر الى قسنطينة في سيارة أوتوبيس ذات اربعين مقعدا ليجمع بين الفائدة والنزهة وعمل بالاتفاق مع الوفد الجزائري على أن يخرج الوفدان من الجزائر معا ويدخلا قسنطينة مساء السبت معا.

وبلغ أهالي سطيف أن الوفدين يمران ببلدتهم فأبى عليهم كرمهم الا أن يقيموا لهما حفلة شاي فاخرة. وأرسلوا للوفدين استدعاء مع رسول خاص مبالغة منهم في البر والاحتفاء وخرج الوفدان من العاصمة على الساعة السادسة من صباح السبت في قطار من السيارات الضخمة يتكون منها منظر ساحر خلاب ووصلوا سطيف على الثالثة بعد الزوال فتلقاهم إخوانهم السطيفيون على بضعة أميال من المدينة بباقات الزهر وطيب التحية واجتمع الجميع على مائدة الشاي الحافلة.

ثم استقل قسم من وفد سطيف سيارة ذات خمسين مقعدا وخرج الجميع آمين قسنطينة وقد زاد الموكب كمالا وجمالا.

خرج اعضاء لجنة الاحتفال من قسنطينة في بضع سيارات للقاء موكب الوفود على خمسة وعشرين ميلا إبلاغا في المبرة فتهللت الاسارير عند اللقاء وطفحت الوجوه بالبشر وانطلقت الالسنة بالتحيات المباركات وتصافحت القلوب قبل أن تتصافح الايدي وامتزج شماس الاصيل بشعاع الوجوه المستبشرة. فكان منظرا سحريا أخاذا لا يستقل بوصفه الا شاعر. ولست بشاعر. ثم انتظمت السيارات موكبا بديعا وزحفت الى قسنطينة فدخلتها بعد المغرب. وليس وصف مشهد دخول هذا الموكب الى قسنطينة وانغماس الضيوف والمضيفين في غمرة من نشوة الفرح البالغ الى حد الذهول — بالذي يسعه بياني وإن وسعه إدراكي وعياني.

اجتمعت وفود الغرب بوفود الشرق في مدرسة التربية والتعليم التي أعدت

مكاتبها وطبقاتها وقاعاتها لهم أحسن إعداد . وبعد أداء فريضة العشاء انصرفوا الى موائد المضيفين على تقسيم عجيب ومزج غريب يرجع الفضل والشكر فيه الى لجنة الاحتفال .

وقد تبارى كرام القسنطينيين — أحسن الله اليهم — في إكرام الوافدين وهزتهم الاريحية هزة بعد العهد بمثلها ، وتجلت الضيافة العربية الباذخة فى أجلى صورها يزينها نظام دقيق دفع هجنة الفوضى ووصمة الاختلال التى تصاحب الاحتشاد والكثرة . فلم يتخلف مضيف عن ميعاد. ولم تختل لضيف وجبة . ولم يفترق للمجتمعين فى منزل شمل . وتضاعفت الوفود صباح الاحد فتضاعفت الحفاوة والبشر وتجلى الاستعداد الهائل واتسعت الصدور فاتسعت المنازل وتنوعت صنوف البر حتى وسعت تلك الوفود الزاخرة سكنا مرفها وأكلا مترفا في أيام الاحتفال ولياليها . وارتفعت الكلف بين كل نزيل وأبي مثواه حتى لتحسبهم إخوة رحم أوعشراء دهر .

ثم تلطفوا فخصوا الوفود التي لم تسبق لها زيارة قسنطينة — بنوع من التكريم وهو الطواف بهم فى أوقات الفراغ على معالمها وقناطرها العجيبة وواديها المدهش ومناظرها الساحرة وغمروهم بـفيض من الرقة واللطف أسرت البابهم وأنطقتهم بـبليغ الشكر فنقلبوا الى أهليهم يحملون الاعجاب والاكبار ويضمرون المحبة الصادقة والولاء المحض .

هذه هي الاجتماعات الي كنا ننشدها فلا نجدها ، هذه الاجتماعات التي تثمر التعارف الحقيقي وتجمع افراد الامة على الدين والخير والعلم وقد زادها إخواننا القسنطينيون تمكينا وشرعوا من آداب الضيافة مناهج سيحتذيها المترسمون ويذكرونها لهم بالجميل .

« وما ظن الذين يفترون علينا الكذب ويتقولون علينا الاقاويل ؟ أفى مثل

هذا الاحتفال من أعمالنا شائبة نقد أو رائحة إضرار بأحد ؟

***

كان من المتوقع — على بعد — أن تسمح الادارة بوقوع الختم فى الجامع الاعظم لاتساعه لاضعاف ما يتسع له الجامع الاخضر. وقد طلب منها ذلك واتخذت وسائله — فأبت . فما كان من لجنة الاحتفال وكرام القسنطينيين إلا ان قرروا أن يفسحوا فى المجالس للوافدين وأن لايزاحموهم فى مقاعد الجامع الاخضر ساعة الدرس ونفذوا هذه الخطة على أن تكون مكافأتهم من الاستاذ اعادة درس الختم فى ليلة أخرى بعد انحسار الوفود عن قسنطينة .

وما كادت تشرق شمس يوم الاحد حتى اكتظ الجامع الاخضر بالوفود فلم يبق فيه متنفس . وشمل الخشوع تلك الصفوف المتراصة حتى لا حركة ولا ضوضاء. وتجلى جلال كلام الله في بيت الله فكان مشهدا يستنزل الرحمات . ويتكفل باستجابة الدعوات . وصعد الاستاذ المفسر منبر الدرس فشخصت العيون وخفتت الانفاس واستهل بتلاوة المعوذتين ، وشرع فى تفسيرهما بما هو معهود منه فلا يحتاج الى نعت ولا الى اطراء (وقد نشر ملخص الدرس في هذا العدد)

استغرق الدرس ما يقرب من ساعة ونصف أخذ الناس فيها على نفوسهم وجللتهم سحابة من الخشية والسكينة . وكذلك المؤمنون الذين يخشون ربهم بالغيب تقشعر جلودهم عند سماع كلامه ثم تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله .

وختم الاستاذ المفسر الدرس بأدعية قرآنية وابتهالات مأثورة ثم طلب من الحاضرين أن يسالوا الله الرحمة والمغفرة لاخيهم حسين باي مؤسس الجامع الاخضر . ومحبسه فى سبيل العلم وإقام الصلاة وذكر الله كما هو منقوش على رخامة فى في المسجد . وذكر ان من علامات إخلاص هذا الرجل في عمله وحسن نيته أن

يسر الله ختم تفسير كلامه من أوله الى آخره في مـدة خمسة وعشرين عاما بهذا المسجد فانطلقت الالسنة بالدعاء والترحم وافترقوا على مثل ما اجتمعوا عليه بقلوب خاشعة ونفوس متراحمة والسنة رطبة بحمد الله وشكره على ما وفق اليه من الخير وأعان .

وكان هذا اليوم مقصورا على درس التفسير حرصا على كلام الله أن يستقل تأثيره بالنفوس وأسره للافئدة . وعلى عظاته أن تتصل بشغف القلوب . وخص سائر اليوم لاستراحة الوافدين ووقوفهم على معالم المدينة ومناظرها بعد أن أذنت لجنة الاحتفال فيهم باحتفلات العذ وأعماله .

***

كان يوم الاثنين الموالي ليوم الختم موعدا لاقامة حفلة تكريم للاستاذ المفسر وهي الحفلة التي سبقت الاشارة اليها في كلامنا . وكان لها حظ من تصميمنا واعتزامنا فسخر الله أسبابها فى هذا اليوم . وقـد تلطفت لجنـة الاحتفال فأسندت رئاستها الى كاتب هذه السطور . وكان موضع الاحتـفال قاعـة « كلية الشعب » الفسيحة .

أهطعت الوفود الى كلية الشعب قبل الساعة المقررة بساعات ولم يثنهم طول الانتظار ولا اكتظاظ القاعة حرصا على ضمان المقاعد . وصنع القسنطينيون فى هذا اليوم صنيعهم بالامس ففسحوا فى مجالس كلية الشعب كما فسحوا في الجـامع الاخضر إكراما للوفود . وأبت الوفـود الا ان يكون لها شرك في معنى التكريم وأن يكون لاسمائها وبلدانها دخل في عداد المكرمين . فكان التكريم باسم العلماء زملاء الاستاذ وشركائه في العمل وباسم تلامذتـه وباسم هذه الوفود الحاشدة .

ودقت الساعة التاسعة فتصدرت هيئة جمعية العلماء سدة القاعة واكتنفهم

خطباء الحفلة وشعراؤ ها من تلامذة الاستاذ عن اليمين والشمال وتقدم رئيس الحفلة فـقدم مقرئا أسمع الناس آيات من كلام الله ثم فتح الرئس باب الخطابة بارتجال كلمات . ثم قدم الخطباء على مراتبهم ثم الشعراء كذلك وسيرى القاريء في آخر هذا العدد تلك الخطب والقصائد منشورة .

ولما كانت ساعات الاحتفال محدودة لا تـتسع لجميع الخطباء ولا للـقليل منهم وكان التلامذة يمثلون طبقات تمتد من أوائل النهضة الى الان فقد رؤي حرصا على الوقت والفائدة الاقتصار على من يمثل تلك الطبقات؛ فتقدم من يمثل المتخرجين فى أوائل الحركة . ثم من يمثلون وسط الحركة واستفحالها . ثم من يمثلون الطبقة المباشرة للتعليم فى السنوات الاخيرة ثم من يمثلون الطبقة النازحة الى جامع الزيتونة ثم من يمثل الطبقة المستقلة بالتعليم ثم من يمثل تلاميذ التلاميذ وبعد انتهاء الخطباء اعلن الرئيس استراحة ربع ساعة ثم الرجوع لسماع الشعراء .

ولما انتهى دور الخطباء والشعراء المقررين فى منهاج الحفلة . وقف كاتب هذه السطور وارتجل خطابا تغنى فيه بجمال يوم القرآن وهو يوم الختم وبفوائد الخير التي سيعود بها على الامة الجزائرية ، وقد حاول كاتبان من كتاب الحفلة أن يلتقطاه عند الالقاء ففاتهما منه الكثير وتقدم الي الحريصون على تخليد الحفلة كاملة ان أكتب ما علق بالذاكرة من الفاظها ومعانيها فكتبت ما يقرؤه القاري فى آخر الخطب . وأنا أبرأ من ادعاء محاذاته كما التي ارتجالا . فى الفاظه ومعانيه .

وبعد خطبة الرئيس قام الاستاذ المحتفل به وارتجل خطبة ضافية نستعيض عن وصفها هاهنا بتلخيص معانيها ونشرها مع الخطب .

وانفض الاحتفال على الساعة الثانية الاربع الساعة بعد الزوال .

ومن لطائف الاتفاق أنه خطر لبعض الهيئات تقديم هدية تذكارية للاستاذ ولم تعلم هيئة بما اعتزمت عليه الاخرى من نوع الهدية . فلما قدمت الهدايا أمام الجمهور

بعد انتهاء الخطابة كان تناسقها مفاجأة مدهشة . وهي : محفظة كتب عربية ثمينة قدمها وفد تلمسان وقلم تحبير ثمين معه قلم رصاص قدمتها هيئة جمعية التربية والتعليم ونسخة من تفسير المنار قدمتها هيئة جمعية العلماء ونسخة من كتاب فتح الباري قدمتها لجنة الاحتفال .

وكما كانت هذه الهدايا لطيفة في معناها التذكارى وفى رمزها العلمي وفى تناسقها فقدكان سرور الاستاذ بها عظيما ووقعها في نفسه لطيفا . ثم تم التناسق ولطف الذوق في حفلة المساء حين قدم له تلامذة كشافة الرجاء مصباحا كهربائيا ظريفا . وقدم له تلامذة الشباب الفني (زربية) سجادة صلاة

***

وفي مساء الثلاثاء اشتركت ثلاث جمعيات علمية وفنية ورياضية فى اقامة احتفال زاهر فخم فى كلية الشعب ابتهاجا بضيوف القرآن .

اما الجمعيات فهي جمعية التربية والتعليم وجمعية الشباب الفني الفنية وجمعية كشافة الرجاء الرياضية .

وأما الاحتفال فكان ناجحا الى أقصى حدود النجاح . مؤثرا الى ابعد غايات التأثير — ظهرت فيه جمعية « الشباب الفني ـ على حداثة عهدها — بمظهر الكفاءة والتجديد وسلامة الذوق والانسجام ببن العازفين في المظهر وبين القطع في المخبر . وقد عزفوا قطعا مشجية وترنم عليها التلامذة بأناشيد أشجى حتى لقد رأيت كثيرا من عمار الصفوف الامامية يبكون تأثرا — وإن انس فلا أنس التلميذين اللذين أنشدا نشيد الترحيب على عزف البياني . انهما لطراز عال فى رخامة الصوت وسلامة الاداء وجمال المنطق حفظهما الله وأقربهما أعين الامة التي تعلق رجاءها على أمثالهما .

إن التطويل فى وصف هذه الحفلة يفضي الى التقصير . وخلاصة القول فيها

انها كانت زادا روحيا قدمته قسنطينة لوفودها بعد ان جاوزت الغاية فيما قدمته لهم من أطايب الغذاء البدني . وان سرها وسحرها ليسا آتيين من الاطراب في العزف والاطراف في الاناشيد والاجادة فى التمثيل والاتزان في الحركات وانما هما ءاتيان من شيء آخر وراء هذا كله ، هو أمل الامة فى أبنائها ، كان صورة في الاذهان ومخيلة في الادمغة فرأت منه في هذه الليلة نموذجا عمليا يبشر بتحققه كله ، — ان الزمان باحداثه يستطيع ان يمحو من نفوس الوافدين كل ما رأوا وماسمعوا ولكنه لن يستطيع محو شيئين درس القرآن وهذه الحفلة ، وان الوافدين ليستطيعون ان يقابلوا كل اكرام اتوه من اخوانهم القسنطينيين بمثله او باحسن منه الا اكرامهم بمثل هذه الحفلة،

وانفض هذا الاحتفال في نهاية الساعة الواحدة بعد نصف الليل . بعد أن ختمه الاستاذ بن باديس بكلمة توديع .

***

من المظاهر التي شاهدها الناس كلهم في هذا الاحتفال بسوابقه ولواحقه — الهدوء الشامل فلم تحدث أية حادثة ولو بسيطة على كثرة الاحتشاد وشدة الازدحام واختناق التعاريج فى المدينة . وليس مرجع ذلك الى التنظيم الآلي . ففي أدون من هذا الاحتفال نرى الفوضى تطغى على النظام . وطباع السوء لا تنهنه بالزجر وانما مرجع ذلك الى التنظيم النفسي والى ادب القرآن وقد ملك أزمة النفوس .

وان هذا النوع من التربية الدينية هو الذي نريده للامة . وهى تربية كثيرة الفوائد قليلة التكاليف ، وقد جربت فصحت ، فهل من معين لنا على تثبيتها وتعميمها؟ وكأن ادارة الامن العام بقسنطينة ادركت ذلك فلم نرمنها مظاهر الاستعدادات الاستثنائية التي كنا نراها فى مثل هذه المشاهد ، وحسنا فعلت ،

محمد البشير الابراهيمي

خلاصة تفسير المعوذتين

من درس الاستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس

الذي ختم به تفسير القرءان

كلمة بين يدي التلخيص.

اكمل طرائق المتقدمين من علماء هذه الملة في تلقين العلوم — طريقة الاملاء. والاملاء نتيجة لاستحكام الملكة في العلم واستقلال الفكر فيه. اوسعة المحفوظ ورحابة آفاق الحافظة. واستحكام الملكة واستقلال الفكر وقوة الحافظة مزايا تكاد تكون خالصة لعلماء سلف هذه الامة لم يبلغ علماء الامم الاخرى مد احدهم فيها ولا نصيبه.

وكانت وظيفة السامعين كتابة ما يملى عليهم كله أو خلاصته، وكانت المحابر والاقلام والاوراق هي الادوات اللازمة لرواد مجالس العلم لا في مقامات مقابلة الاصول وضبطها. فهنا لابد من احضار النسخ الكاملة من الكتب.

ومن ثمرات تلك الطريقة المثلى فى التلقين والتلقى كتب الامالي في الحديث واللغة والادب، وفى تراجم المحدثين والادباء الشيء الكثير من ذلك وان لم يبق لنا الدهر منها الا الاقل من القليل.

ولما انتهى عصر الرواية بجمع روايات السلف فى التفسير ورواياتهم للاحاديث والسنن، ودونت اصول اللغة والادب والعلوم المتفرعة عنها وجاء دور الاستغلال لها — نشأت عوامل الانحطاط في العلوم الاسلامية وكان من أظهر مظاهرها جفاف القرائح وجدب الافكار وضعف القوى الحافظة وانحطت طرائق التلقين

تبعا لذلك وانحصرت في الطريقة الشائعة الى اليوم. وهي التزام كتاب تتعدد نسخه بتعدد المتلقين له يحلل الشيخ عباراته ويشرح معانيه . وانحطت وظيفة السامعين من الكتابة والتقييد الى الاستماع المجرد

ولسنا نعيب طريقة التزام الكتب وشرح معانيها بالكلام . فذلك في حقيقته نوع قاصر من الاملاء . وانما ننعي على السامعين اهمالهم لكتابة ما يسمعون فتضيع عليهم الفرائد التي يلقيها الاستاذ وقد تكون قيمة ، كما تضيع فى عصرنا هذا الخطب والمحاضرات المرتجلة التى لا يكتبها ملقيها ولا متلقيها

ولسنا بصدد التاريخ لهذه الطرائق والمقارنة بينها وبيان وجوه النقص والكمال فيها وانما ننبه في هذا المقام الى أن اسوأ أثر لهذه الطريقة الشائعة اليوم هو القضاء على الملكة العلمية ، لانها شغلت المعلم والمتعلم معا بالكتاب عن العلم اذ أصبح همهما كله مصروفا الى تحليل الكتاب وفك عباراته والقيام على اصطلاحاته الخاصة وفى بعض هذا ما يستغرق الوقت ولا يبقي سعة لادراك قواعد العلم وتطبيق جزءياته على كلياته ، وبعيد جدا على من يدرس علما على هذه الطريقة ان تستحكم ملكته فيه وكيف تستحكم ملكة الفقه مثلا لمن يقرؤه من مثل مختصر خليل على هذه الطريقة فيمضي وقته فى تحليل عباراته وتراكيبه المعقدة التي ذهب الاختصار بكثير من اجزائها وفي بيان التقديم والتاخير في الالفاظ وربط المعمولات بالعوامل البعيدة وارجاع الضمائر المختلفة الى مراجعها . والطفرة بالذهن من مذكور الى مقدر ، وهذا هو كل ما يشغل وقت المعلم والمتعلم وهم فى الحقيقة لا يدرسون علم الفقه وانما يدرسون كتابا في الفقه ودراسة الكتب لذاتها اصبحت اليوم فنا كماليا من التاريخ لا اصلا فى تعلم العلوم .

والدارس لتاريخ العلوم الاسلامية يتجلى له هذا فى تراجم علماء تلك العلوم اذ يجد فيها دائما أشباه هذه العبارة : كان أقوم الناس على كتاب الجمل للخونجي .

اوعلى كتاب التهذيب للبرادعي ، اوعلى كتاب الشامل لا بن الصباغ . كان نافذا فى اقراء المحصل للرازي . كان سديد البحث في مختصر ابن الحاجب الاصلي كثير المناقشة لعباراته . واين سداد البحث وكثرة المناقشة فى عبارة كتاب من تحصيل الملكة فى علم؟ إن الاصولي الحقيقي هو الذي ينفق مما عنده او يقرئه من أي كتاب كان . ولا يفتتن بكتاب معين هذا الافتتان ، وان الفقيه الحقيقي هو الذي يفهم الفقه لا الذي يفهم كتابا فى الفقه ؛ وفي وقتنا هذا نسمع علماء المعاهد المشهورة يتمدحون بمثل هذا ويصفون من يحسن اقراء التنقيح للقرافي على هذه الطريقة بالاصولي المحقق .....

ولقد حاول جماعة من العلماء الحفاظ فى القرون الاخيرة اصلاح هذه الحالة واحياء طريقة الامالي فلم ينجحوا لافتتان جمهور المتعلمين بالكتب وانصرافهم عن العلم الى كتب فى العلم . حاول ذلك الحافظ ابن حجر وهو اهل لذلك ولكن أهل زمنه لم يكونوا أهلا له ، ونعى معاصره ابن خلدون المؤرخ طرق التلقين فى زمنه وكثرة المؤلفات والمختصرات فى العلم وعدها عائقة عن التحصيل ، وحاول ذلك بعد ابن حجر تلميذه الحافظ السيوطى وهو أهل لذلك على ما فيه من تبجح واستطالة وقد شكا في بعض رسائله اخفاقه فى هذه المحاولة بعبارة مرة ووصف انصراف الجمهور عنها بانه من غلبة الجهل وكلال الهمم وضعف العزائم .

نجمت فى هذه العهود الاخيرة ناجمة اضطراب وتبرم من طرائق التعليم المتبعة وكتبه الملتزمة . وارتفعت الاصوات بالشكوى من اضرارها وسوء عواقبها . وكان الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده اعلا الحكماء صوتا بلزوم اصلاحها وأبلغهم بيانا لاضرارها وسوءاتها ومعايبها وأسدهم رأيا في تغييرها بما هو أجدى منها وانفع وأكثرهم عملا جديا فى ذلك .

وكان من اصلاحاته العملية في هذا الباب درسه لكتاب الله باسلوب حكيم

لم يسبقه اليه سابق ، وكان — رحمه الله — وهو من هو في استقلال الفكر واستنكار الطرائق الجامدة يجاري الطريقة الازهرية بعض المجاراة لاعتبارات خاصة ومن هذه المجاراة السطحية انه كان يلتزم في تلك الدروس العامرة بالحكم العليا تفسير الجلالين ويستهلها بقراءة عبارته .

ولكن السامعين لتلك الدروس على كثرتهم وجلالة اقدارهم في العلم والمعرفة وتساويهم في الاعتقاد بان تلك الدروس فيض من الهام الله أجراه على قلب ذلك الامام وعلى لسانه وأنها مما لم تنطو عليه حنايا عالم ولا صحائف كتاب — لم تتسابق اقلامهم لتقييد تلك الدروس الا قليلا ، ولو انهم فعلوا لما ضاع من كلام ذلك الامام حرف واحد . ولو لم يقيض الله محمد رشيد رضا لهذا العمل الجليل لضاع كله ولكن الله وفقه لحفظ معاني تلك الدروس وسدد قلمه في ادائها ثم نهج نهجه بعد موته وسار على شعاع هديه في تفسير كلام الله فأبقى لهذه الامة تلك الاسفار القيمة المعروفة بتفسير المنار .

***

مدت حركة الاصلاح العلمي مدها بعد موت الامام وانتشرت في الاقطار الاسلامية واسفرت عن اصلاح حقيقي لاساليب التعليم في المعاهد الحرة . وعن اصلاح صوري في المعاهد الرسمية ولا تزال الحرب قائمة في هذه المعاهد بين طلاب الاصلاح وبين أنصار الجمود وستكون العاقبة للمصلحين باذن الله . ولقد كان من حسن حظ الجزائر أن باعث النهضة العلمية فيها الاستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس قد وضع اساس هذه النهضة على قواعد صحيحة من اول يوم فسلك في درس كلام الله أسلوبا سلفي النزعة والمادة عصري الاسلوب والمرمى مستمدا من آيات القرآن وأسرارها اكثر مما هو مستمد من التفاسير وأسفارها . وقد قرأنا له في بعض افتتاحيات مجلة « الشهاب » انه يعتمد في هذه الدروس على تفاسير مخصوصة في

مواضيع مخصوصة كالطبري في المأثور والكشاف في أسرار الاعجاز. وذلك صحيح ومفيد لمن يجعل فهوم الرجال مقاييس لفهمه ولا يعطيها أكثر من انها فهوم تصيب وتخطيء، اما المعنى الصحيح لكتاب الله فيستجليه من البيان العربي والشرح النبوي ومن مقاصد الدين وأسرار التشريع. ومن عجائب الكون وسنن الله فيه ومن احكام الاجتماع الانساني. ومن تصاريف الزمن ونتائج العقول وثمرات العلوم التجريبية.

واذا كان من دواعي الغبطة ختم تفسير القرآن على هذه الطريقة في القطر الجزائري فإن من دواعي الاسف أنه لم ينتدب من مستمعي هذه الدروس من يقيدها بالكتابة ولو وجد من يفعل ذلك لربحت هذه الامة ذخرا لا يقوم بمال، ولاضطلع هذا الجيل بعمل يباهي به جميع الاجيال ولتمخض لنا ربع قرن عن تفسير يكون حجة هذا القرن على القرون الاتية. ومن قرأ تلك النماذج القليلة المنشورة في الشهاب باسم مجالس التذكير علم أي علم ضاع وأي كنز غطى عليه الاهمال.

ولما كان اليوم المشهود بختم هذه الدروس جمع أحد الحاضرين ما وعته ذاكرته وأمكنه تقييده (ش) من معنى درس الختم في تفسير المعوذتين وتصرف في الفاظه بما لا يخرج عن معانيه اذ لم يكن من الميسور أن يلتقط الالفاظ كلها. فجاء بهذه الخلاصة التي ننشرها على الناس في هذا العدد الخاص بالاحتفال لافتين انظارهم الى ان هذه الخلاصة محيطة بمعاني الدرس مع تصرف ضروري اقتضته مساوقة ما كتب لما قيل.

***

استهل الاستاذ الدرس بعد الاستعاذة والتسمية بالتحميد المأثور: الحمد لله ان الحمد لله. نحمده ونشكره ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه من شرور انفسنا وسيئات أعمالنا من يضلل الله فلا هادي له ومن يهد فما له من مضل ونشهد ان لا اله الا

الشهاب: هو الاستاذ الابراهيمي كاتب التلخيص

الله ونشهد ان محمدا عبده ورسوله .

ثم عقب بما ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبدأ به خطبه . وجرت عادة المحدثين والمفسرين أن يفتتحوا به مجالس التحديث والتفسير وان اختلفت الروايات فى الفاظه وهو قوله صلى الله عليه وسلم أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

ثم قال توطئة للدخول فى تفسير المعوذتين ما معناه مع تصرف وتوضيح :

بني هذا الكون الدنيوي على ان يقترن فيه الخير بالشر وان يتصلا وان يشتبها وان يحيطا بالانسان من جميع جهاته فتكون أعماله الكسبية فى الحياة مكتنفة بهما دائرة بينهما موصوفة باحدهما ولا بد . ذلك من قدر الله ومن سننه العامة فى هذا العالم الانساني . وحكمته المبينة في وحيه هي ابتلاء خلقه ليجازوا على ما يكون من كسبهم وسلوكهم بعد ان وهبهم العقل والتمييز واكمل عليهم نعمته بهداية الدين عدلا منه تعالى ورحمة ، — وحكمة اخرى وهي تمرين هذا الانسان فى حياتيه العلمية والعملية وتدريب فكره على اختيار الانفع على النافع والنافع على الضار ثم سوق الجوارح الى العمل على ذلك الترتيب وترويضها عليه .

والانسان يكتسب القوة والدربة بتمرسه على ما يلقاه من الخير والشر بعمله وبفكره وللفكر الانساني عمل سابق لاعمال الجوارح المجترحة وسائق لها ومهيء لما يظهر انه من بدواتها .

وهذا العمل الفكري تظهر قوته في نواح منها — وهو اهمها — التمييز بين الخير والشر ودقائق هذا التمييز بين خير الخيرين وشر الشرين . فان الخير درجات وأنواع والشر كذلك دركات وانواع .

والانسان في هذا الخضم الذي تلاطمت أمواجه . وفى هذا الفضاء الذي تشابهت

أفواجه ، محتاج الى معونة الهية فى تمييز الخير من الشر . وقد امده الله بهذه المعونة من دينه الحق . ومحتاج الى تاييد الهي يعصمه من الشر ويقيه من الوقوع فيه عن جهالة أو عمد . وقد هداه الله الى اسبابه ووسائله بما شرع له من المنبهات عند طروق الغفلة . والمبصرات عند عروض الشبهة والمعوذات المحصنات عند إلمام لمة الشيطان وطواف طائفه . ومن هذه المعوذات عقائد تدفع عن صاحبها الشكوك وهي شر ، وحقائق تقي صاحبها الوهم وهو شر . وعبادات تربي مقيمها على الخير وتنهاه عن الفحشاء والمنكر . واعمال تثبت فاعلها على الحق . وأقوال يملها القلب العامر بتقوى الله والخوف من مقامه على الالسنة لتكون شهادة لها وعنوانا عليها . والالسنة تراجمة القلوب . فكان مما شرع الله لنا في كتابه وعلى لسان نبيه التعوذ باللسان من الشر والباطل وأنزل الله عليه هاتين السورتين وفيهما الاستعاذة بالله من انواع من الشرور هن أمهات لما عداهن وكان نبينا عليه السلام يكثر التعوذ باسم الله وكلماته من أنواع اخرى من الشرور مفصلة في صحاح السنة ،

أما السورتان فيكفي فى فضلهما ما أخرجه مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألم تر آيات انزلت الليلة لم ير خير منهن قط قل أعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس » وفي رواية اخرى فى مسلم عنه تسميتهما بالمعوذتين ، وفى رواية أبي اسامه فى مسلم ايضا وصف عقبة بن عامر بانه كان من رفعاء اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . فتسمية هاتين السورتين بالمعوذتين تسمية نبوية ماثورة كا سماء جميع سور القرآن وقد يقال المعوذات ويراد بها ما يشمل سورة الاخلاص . وكفى بما فيها من اصول العقائد معاذا من الشرك وهو أصل الشرور كلها ،

وحديث مسلم هو أصح ما ورد فى نزولهما وأما ما يذكر في نزولهما فى قصة سحر النبي صلى الله عليه وسلم فان ذلك لم يصح سببا لنزولها . وان كان لقصة

السحر وصاحبها لبيد بن الاعصم اصل ثابت في الصحيح وقد تساهل كثير من المفسرين في حشر هذا السبب في تفسيرهما وفي حشر كثير مما لم يصح فى فضائلهما ولنا فيما صح غنية عما لم يصح .

وهذه الخيرية التي أثبتها لهما حديث عقبة عند مسلم هي خيرية نسبية فى ناحية مخصوصة . وهي ناحية التعوذ بهما من الشرور العامة والخاصة المذكورة فيها ودليل هذه النسبية ما أخرجه النسائي فى سننه عن ابن عابس الجهني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يابن عابس الا ادلك اوالا اخبرك بافضل ما يتعوذ به المتعوذون قال بلى يارسول الله قال قل اعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس هاتين السورتين .

فبين صلى الله عليه وسلم ان خيريتهما وافضليتهما من جهة ما تشتملان عليه من معنى التعوذ وهو من المعاني الداخلة فى دائرة ما كلفنا الله به .

ولهاتين السورتين خصوصية غير المناسبات التي يذكرونها فى ارتباط بعض السور بالبعض ويستخرجون منها بالتدبر مالا يحصى من الانواع وهذه الخصوصية هي ختم القرآن بهما وهما كالسورة الواحدة . فما هي الحكمة في ختم القرآن بهما ؟ وترتيب السور توقيفي ليس من صنيع جامعي المصحف كما ذكره السيوطي في الاتقان وجماعة .

يستطيع ممارس القرآن ومتدبره ومتلقيه بالذهن المشرق والقريحة الصافية ان يستخرج من الحكم في هذا الختم بهما انواعا ولكن أجلاها وأوضحها انهما ختم على كنوز القرآن في نفس المؤمن . وتحصين لهذه النعم المنثالة من القرآن عليه أن يكدرها عليه كيد كائد أو حسد حاسد . فان من أوتي الشيء الكريم ورزق النعمة الهنية هو الذى تمتد اليه أيدي الاشرار والسنتهم بالسوء وتتقذفه عيونهم بالشرر وتتطلع اليه نفوسهم بالحسد والبغضاء ويشتد عليه تكالبهم سعيا في سلبه منه او تكديره

عليه وبقدر النعمة يكون الحسد ، وعلى مقدار نفاسة ما تملك تكون هدفا لمكائد الكائدين وتاتيك البلايا من حيث تدرى ولا تدري ومن أوتي القرآن فقد طوي الوحي بين جنبيه وأوتي الخير الكثير ، فهو لذلك مرمى اعين الحاسدين ومهوى افئدة الكائدين فكان حقيقا وقد ختم القرآن حفظا او مدارسة أو تلاوة أن يلتجىء الى الله طالبا منه الحفظ والتحصين من شر كل كيد وحسد يصيبه على هذا الخير العظيم الذي كمل له وهذه النعمة الشاملة التي تمت عليه ،

هذه حكمة ،

وأخرى .

وهي أن من أوتي القرآن وتفقه فيه فقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب وأحاط بالعلم من أطرافه وملك كنزه الذي لا ينفد . وان من آفات العلم اغترار صاحبه به وقد يتمادى به الغرور حتى يسول له أن ما أوتيه من العلم كاف في وقايته من الاضرار ونجاته من الاشرار فكان من رحمة الله بصاحب القرآن واطف تاديبه له وحسن عنايته به ان ختم بهاتين السورتين كتابه لتكونا آخر ما يستوقف القاريء المتفقه وينبهه الى ان في العلم والحكمة مسالة لم يتعلمها الا الان . وهي أنه مهما امتد في العلم باعه واشتد بالحكمة اضطلاعه . فانه لا يستغنى عن الله ولا بد له من الالتجاء اليه والاعتصام به يستدفع به شر الاشرار وحسد الحاسدين وكفى بهذه التربية قامعا للغرور . وانه لشر الشرور .

هذه هي المناسبة العامة بين جميع القرآن مرتبا ترتيبه التوقيفى وبين هاتين السورتين في اتحاد موضوعهما .

وأما المناسبة الخاصة بين السورتين وبين سورة الاخلاص فهى ان سورة الاخلاص قد عرفت الخلق بخالقهم بما فيها من التوحيد والتنزيه والتمجيد . فاذا قرأت القرآن وتدبرته على ترتيبه ووجدت توحيد الله منبثا فى آياته وسوره .

متجليا ذلك التجلي الباهر بمعارضه وصوره، سادا ببراهينه على النفوس كل ثنية وكل مطلع — كانت آخر مرحلة يقطعها فكرك من مراحل التوحيد فى القرآن هذه السورة المعجزة على قصرها. فكانها توكيد لما امتلات به نفسك من معاني التوحيد وكانها وصية مودع مشفق بمهم يخشى عليك نسيانه فيعمد فيها من الكلام الى ما قل ودل ولم يمل.

ومن صدقك في توحيدك لله فى ربوبيته والهيته أن تنقطع عن هذا الكون وتكون منه وكأنك لست منه بصدق معاملتك لله واخلاص توحيدك اياه. فأنت وقد آمنت وصدقت وخرجت من سورة الاخلاص متشبعا بمعانيها ومنها معنى الصمد — تستشعر أن العالم كله عجز وقصور، وان خيراته مكدرة بالشرور. وأن لا ملجأ الا ذلك الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا احد. فتجيء المعوذتان بعد الاخلاص مبينتين لذلك الاتجاه الذي هو من تمام التوحيد.

ولاجل هذه المناسبة والارتباط بين السور الثلاث جمع بينهن في التسمية ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفث عن نفسه بالمعوذات وسياق النساءي لحديث عقبة بن عامر المتقدم أن رسول الله قرأ وقرأت معه الاخلاص ثم قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس فلما ختمهن قال: ما تعوذ بمثلهن أحد. وكما جمع صلى الله عليه وسلم بينهن فى التسمية والتعوذ جمع بينهن عمليا في قراءة الوتر.

هذا اجمال المناسبة الخاصة بين السور الثلاث

***

قال تعالى: « قل أعوذ برب الفلق، » الامر المفرد للنبي عليه السلام. ومن حسن الادب فى مقدرات القرآن أن نقدر فى مثل هذا الامر أيها الرسول او ايها النبيء لأنهما الوصفان اللذان نطق بهما القرآن فى نداء النبي عليه السلام وان لا نقدر

يا محمد كما هو جار على الألسنة وفي التصانيف فان القرآن لم يخاطبه باسمه.

والأمر لنبينا أمر لنا لأننا المقصودون بالتكليف ولا دليل على الخصوصية فهي في قوة قل أنت وقل لامتك يقولون.

وأعوذ أستجير وألتجيء ويتعدى هو وجميع تصاريفه بالباء كأستجير والعوذ والعياذ مصدران منه كالصوم والصيام وفي القرآن مما جاء على المعنى اللغوي يعوذون برجال من الجن ومن كلام العرب قد استعذت بمعاذ.

والرب الخالق المكون المربي، ومواقع استعمال هذه الكلمة في القرآن هي التي تكشف كل الكشف عن معناها الكامل.

والفلق الفجر المفلوق المفري، ومن لطائف هذه اللغة الشريفة ان الفتح والفلح والفجر والفلق والفرق والفتق والفري والفأ والفقأ والفقه كلها ذات دلالات واحدة وتخصصها بمتعلقاتها باب من فقه اللغة عظيم.

ومما وصف به ربنا نفسه في القرآن فالق الاصباح وفالق الحب والنوى فهما من اسمائه تعالى.

ومواقع هذه الألفاظ التي تضاف الى كلمة رب في القرآن كمواقع أسماء المخلوقات التي أقسم بها الله كلاهما عجيب معجز فكل لفظة تستعمل في المقام الذي يناسبها وتناسبه، وكل لفظة تبعث في الاسلوب الذي وقعت فيه متانة وقوة وفي معناه وضوحا وجلاء، وسر اضافة الفلق الى رب هنا أن الفجر بمعناه العرفي هو تشقق الظلمة عن النور فان الليل يكون مجتمع الظلمات مسدول الأرواق. فاذا جاء الصبح حصل الانفراق. والذي يبقى بعد ذلك الانفلاق هو النور الذي نفى الظلمة. ولا ينفي ظلمات الشر والضلال والباطل الا أنوار الخير والهدى والحق من خالقها وفالق أنوارها وكما اضيف الفلق بمعنى الفجر الى كلمة رب هنا أقسم به في آية أخرى وهي قوله تعالى والفجر.

من شر ما خلق — من كل مخلوق فيه شر فلا يدخل في عمومه الا كل شرير من أي العوالم كان كما يدخل في عموم الناطق كل ذي نطق او من شر كل مخلوق ومن مخلوقات الله ما هو خير محض كالأنبياء والملائكة ومعلوم أن المخلوقات كلها خلقت بحق ولحكمة فهي في نفسها خير . فان كان لا ينشأ من أعمالها أو آثارها الا الخير فهي الخير المحض ، وان كان ينشأ عنها الشر أحيانا أو دائما فعملها هو الشر وهو المستعاذ منه . وتصح نسبة هذا القسم الى الله من حيث الخلق والحكمة . ونسبة اعماله اليه من حيث التقدير والتكوين لا من حيث الرضى والتكليف فالله لا يرضى بالشر ولا يكلف به ، وقصارى ابليس وهو مادة الشر في هذا الوجود أن يزين الشر ويلبسه بالخير فالشر بيد الله خلقة وحكمة لا رضا وتكليفا والخير بيد الله خلقة وحكمة ونعمة وامرا —

وقد يكون الشر ذاتيا لا ينفك وقد يكون نسبيا باعتبار حالة تعرض وانجاه يتصد ونعم الله على عباده قد تنقلب عليهم شرا وبلاء بسبب سوء تصرفهم فيها كالمال الذي سماه الله خيرا في القرآن — يكسبه صاحبه من الوجوه المشروعة وينفقه فى الوجوه المشروعة . ويتحرى رضا الله فى جمعه وتفريقه فيكون خيرا بذاته وبعمل صاحبه . ويتصرف فيه بعكس ذلك فيكون شرا لامن ذاته بل من عمل صاحبه .

وهذا العالم الانساني المكلف هو الذي يتجلى الخير والشر فى أعماله . ويتصلان بحياته اتصالا وثيقا . وانما عيب عليه الشر وقبح منه لانه قادر على تمييزه واجتنابه ومكلف بذلك وقد وضع له الدين قوانين ثابتة للخير والشر ووضح له ان الخير ما نفع وأن الشر ما أضر . ولكنه وان أوتي قوة التمييز لم يؤت قوة الاستعصام ابتلاء من الله . فاما المخذول فيأتي الشر عامدا متعمدا وهو يعلم أنه شر واما الموفق فيواقع الشر في مواقف يشتبه عليه فيها الخير بالشر ويعسر التمييز ، والخير والشر لا

يوزنان بميزان حسي يستوي الناس كلهم في ادراكه ، وقد تدق الفوارق بينهما حتى تخفى ، وفى هذه المواقف يجب الالتجاء الى الله ليرينا الخير خيرا ويكشف لبصائرنا عن حقائق الشر فلا يلتبس علينا شيء بشيء وبعد ان يوجه الاضطرار نفوسنا هذا التوجيه الصحيح تندفع السنتنا وتقول : أعوذ برب الفلق من شر ماخلق .

وبهذا تظهر المناسبة الدقيقة بين رب والفلق فازرب الناس ومربيهم وسائقهم الى ما يكمل وجودهم هو الذي تنكشف لعلمه سرائرهم ، والفلق نور يكشف للعيان كل المبصرات فترى على حقائقها ومقاديرها لا يزيغ البصر فى شيء منها ولا يطغى والانسان مهما يكن عالما فقد تخفى عليه حقائق المعقولات فيزيغ فكره ويطغى

ومناسبة اخرى وهي أن الشر ظلام وقد أجرى الله فى فطر البشر تصور الشر كالظلام وأجرى على السنتهم تشبيه الشر بالظلام ، ذلك أن ما يلابس احساسهم من الانس بالنور والبشاشة له هو عين ما يلابسه من الانس والبشاشة للخير، وان ما يضايقهم من وحشة الظلام وتوقع الهلاك فيه هو عين ما يضايقهم من ذلك فى الشر

هذا كله في الشر على عمومه ثم خصص تعالى من هذا العموم ثلاثة أنواع من الشر لشدة تعلقها بحياة الانسان وكثرة عروضها له ويجيء أكثرها من أخيه الانسان ورتبها ترتيبا بديعا لا يستغرب فى جنب بلاغة القرآن . ودقته فى رعاية المراتب وتنسيقها فى العرض على الاذهان

هذه الثلاثة هي الغاسق اذا وقب . والنفاثات فى العقد . والحاسد اذا حسد

والغاسق — الليل المظلم والمراد هنا المصيبة تطرق ليلا وعلى غرة —

ووقب دخل في الوقب وهو النقرة في الشيء .

والنفاثات — السواحر ينفثن الريق واللفظ جمع نفاثة كثيرة النفث

والعقد — جمع عقدة بيان لعادة السواحر المعروفة من عقد الخيوط ونفث

الريق عليها .

والجامع بين الثلاثة هو اشتراكها في الخفاء فان الغاسق ظلام تخفى فيه الشرور ، والنفاثات مبني أمرهن على الاخفاء تخييلا وايهاما والحسد داء دفين .

فالثلاثة كما ترون شرها خفي وكل شر يخفى عمله أو يخفى اثره يجل خطبه ويعظم خطره . فيعسر التوقي منه والاحتياط له . لانك تتقي ما يظهر ويستعلن لا ما يخفى ويستتر . لا جرم كانت الثلاثة جديرة بالتخصيص .

اما نكتة الترتيب فان الليل ليس شرا في نفسه ولا الشر من عمله وانما هو ظرف للشرور ، والعلاقة بين الشيء وظرفه مكينة في النفوس قوية في الاعتبار مسببة للحكم على أحدهما بحكم الآخر .

بخلاف النفاثات والحساد فان الشر من عملهما ومن وصفهما ولانطباعهما عليه صار ذاتيا لهما ولا شك أن الشر الذاتي امكن من العرضي — كما أن بين الاثنين تفاوتا في ذاتية الشر وقوته وعسر التوقي منه . فالنفاثات وان كن يتحرين اخفاء عملهن ولكنه مما يمكن ظهوره وافتضاحه — بخلاف الحاسد فانه يخفى شره ويبالغ فيظهر بمظهر الخير فشره أشد والتوقي منه أعسر ففي الترتيب بين الثلاثة ترق من الاخف الى الاشد .

ومن جهة اخرى نجد التناسب ظاهرا بين الثلاثة الغاسق والنفاثات والحاسد فان الجميع ظلام — ظلام الزمن وظلام السحر وظلام الحسد .

وفي تقييد الغاسق بالوقوب احتمالان كلاهما صحيح مفيد للمراد . الاول ان وقوب الغاسق عبارة عن اعتكار الظلم وتكاثفها فكأن بعض أجزائها يدخل بعضا والظلام يبدأ خفيفا مشوبا باسفار من الشفق او من طبيعة الارض ، ثم يشتد ويحلولك حتى يغطي على كل شيء فتلك التغطية هي الوقوب . والوقوب على هذا الاحتمال منظور فيه الى ظرفه الزماني . وفائدة القيد حينئذ ان تلك الحالة

المصورة بهذه الجملة هي التي تقع فيها الشرور من الادميين وغيرهم . فالطارق يطرق والسارق يسرق والحيات تنتهس . والضواري تفترس . وظلام الليل يستر ذلك كله ويعين عليه ويعوق عن الاستصراخ والاستنجاد . والعرب تقول فى ما يشير الى هذا : الليل أخفى للويل .

فالمستعاذ منه على هذا الاحتمال شر يقع في زمان والاحتمال الثاني ان الوقوب فى حقيقته هو دخول شيء فى شيء دخولا حسيا فيقتضى ظرفا مكانيا وما هذا الظرف الا الابنية والمساكن ، والظلام حين يهجم يدخل المساكن فيملاها ويكون دخوله فيها ابين من دخوله فى الفضاء وملؤه اياها اشد ، فالوقوب على هذا منظور فيه الى ظرفه المكاني لان الشرور التي ترتكب فى البيوت حين يغمرها الظلام أكثر مما يرتكب منها فى الفضاء خصوصا من الادميين والمستعاذ منه شر يقع في مكان — وعلى الاحتمالين لما كان الليل معوانا لذوي الشر على شرهم اضيف الشر اليه واستعيذ بالله منه .

والنفاثات — صفة اما للنفوس فتشمل الرجال والنساء وتكون الاستعاذة من شر كل من يتعاطى هذا الفعل رجلا كان أو امرأة ، واما للنساء وخصصن بذلك لان وقوع هذا الفعل منهن أكثر . وهن به أشهر .

والنفث اخراج الهواء من الفم مدفوعا بالنفس بدون بصاق ، أو مع قليل منه تتطاير ذراته وهو دون التفل . والنفث وان كان عاما لكنه اشتهر فيما يفعله السحرة ، يعقدون خيطا ويتمتمون عليه برقى معروفة عندهم وينفثون على كل عقدة منه بقصد ايصال الشر من نفوسهم الخبيثة الى نفس المسحور . وما هم بضارين به من احد الا باذن الله . وما امرنا الله بالاستعاذة من شره الا لانه يؤثر في بعض النفوس القابلة للتاثر به حاش النفوس المعصومة كنفوس الانبياء فان شرور الدنيا واسواءها لا تعدو ابدانهم الى ارواحهم . ولا يتعاصى على هذه القاعدة ما ورد

في سحر لبيد ابن الاعصم اليهودي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما يوهمه لفظ الرواية فان ذلك كله لا يخرج عن التأثر البدني .

ونحن نعتقد دينا أن تأثير المؤثرات هو من وضع الله وحده . ونقطع علما وتجربة ان للقوى النفسية تأثيرا اعظم من تأثير القوى الجسمانية . وان من مظاهر هذا التأثير النفساني تأثير العين في المعيون وتأثير التنويم في المنام ، وان التأثير والتأثر النفسانيين يختلفان باختلاف النفوس الفاعلة والمنفعلة قوة وضعفا ، وان تأثير العين ليس من ذاتها وانما هو من النفس التي من وراء العين ولو كان التأثير من ذات العين لكانت كل عين ناظرة تحدث ذلك الاثر ، وان هذا التأثر لون من الوان النفس فان كانت خيرة كان تأثيرها خيرا وان كانت شريرة كان شرا ،

فالنفث المذكور في الآية ان اثر فانما يؤثر بالقوة النفسية التي من ورائه والساحر لا ينفث من نفسه الخبيثة الا نفث الشر لان الشر هو صفته الطبيعية كالحية لا تنفث الترياق وانما تنفث السم . وكالعدو يلقك بطعن الاسل . لا بطعم العسل اذ كان ذلك من طبيعة العداوة ،

هذا نفث الشر من النفوس الشريرة كنفوس السحرة . واما النفوس الخيرة الطيبة كنفوس المؤمنين فانها تنفث الخير للخير . وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوى الى فراشه جمع بين كفيه ثم نفث فيهما وهو يقرأ المعوذتين ثم مسح بهما ما استطاع من بدنه يبدأ برأسه ووجهه يفعل ذلك ثلاث مرات فهذا نفث الخير من خير نفس خلقها الله ثم قالت فى تمامه فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك وفى رواية كان يقرأ بالمعوذات فلما ثقل كنت انفث عليه بهذا وأمسح بيد نفسه رجاء بركتها وفي رواية مسلم عنها انه كان يفعل ذلك اذا مرض احد أهله

فهذه الاحاديث - وهي ثابتة صحيحة — تثبت ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم كان يقرأ المعوذات وينفث حين القراءة نفث الخير قطعا . وتبين لنا ان كل نفس تنفث ما وقر فيها، وان النفث ايصال للقوة الروحانية الى ما يراد وصول الاثر اليه وهي دليلنا على ما اسلفنا من أن في النفث خيرا وشرا ولولاها لما كان النفث الا من فعل السحرة.

والنفوس اذا استفزها شيء من ملابستها تتفشى فيها الروحانية وتضطرب فكأنها بذلك النفث تنفض جزءا من روحانيتها على نفس اخرى أو على بدن وكأن تحريك اللسان بقراءة او غيرها اثارة لتلك الروحانية واستدعاء لها حتى تتصل بالريق الذي ينفث كما يتصل السيال الكهربائي بشيء مادي . وقد علمنا ان السحرة لا ينفثون نفثا مجردا بل يغمغمون برقى شيطانية وأسماء أرواح خبيثة

ومن الشواهد لنفث الريق ما أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى الانسان الشيء منه او كانت به قرحة او جرح قال النبي باصبعه هكذا (تعنى وضعها على الارض كما فسرها سفيان بالعمل) ثم رفعها وقال : بسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا ليشفى به سقيمنا باذن ربنا .

(بعد رواية الاستاذ لهذا الحديث سكت لحظة كمن يستجمع خواطره ثم اندفع فقال ما معناه بتوسع) :

ان القرآن كتاب الدهر ومعجزته الخالدة فلا يستقل بتفسيره الا الزمن وكذلك كلام نبينا صلى الله عليه وسلم المبين له ، فكثير من متون الكتاب والسنة الواردة في معضلات الكون ومشكلات الاجتماع لم تفهم اسرارها ومغازيها الا بتعاقب الازمنة وظهور ما يصدقها من سنن الله في الكون وكم فسرت لنا حوادث الزمن واكتشافات العلم من غرائب آيات القرآن ومتون الحديث واظهرت منها للمتاخرين ما لم يظهر للمتقدمين وارتنا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم فى وصف

القرآن : لا تنقضي عجائبه

والعلماء القوامون على كتاب الله وسنة رسوله لا يتلقونها بالفكر الخامد والفهم الجامد ؛ وانما يترقبون من سنن الله في الكون وتدبيره فى الاجتماع ما يكشف لهم عن حقائقهما ويكلون الى الزمن واطواره تفسير ما عجزت عنه أفهامهم ، وقد أثر عن جماعة من فقهاء الصحابة بالقرآن قولهم في بعض هذه الآيات ، لم يات مصداقها او تأويلها بعد . يعنون أنه آت وان لاني به حوادث الزمان ووقائع الاكوان وكل عالم بعدهم فانما يعطي صورة زمنه بعد ان يكيف بها نفسه .

ولو أننا عرضنا حديث التربة والريقة على طائفة من الناس مختلفة الاذواق متقسمة الحظوظ في العلم وسألناهم : أية علاقة بين الشفاء وبين ما تعاطاه النبي صلى الله عليه وسلم من اسبابه فى هذا الحديث ؟ فما ذا تقولهم يقولون ؟

يقول المتخلف القاصر : تربة المدينة بريق النبي صلى الله عليه وسلم شفاء ما بعده من شفاء .

ويقول الطبيب المستغرب : هذا محال ، فى التراب مكروب . وفي الريق مكروب . فأنى يشفيان مريضا اوينفسان عن مكروب .

ويقول الكيماوي : ها هنا تفاعل بين عنصرين . ودعوا التعليل . فالقول ما يقول التحليل .

ويقول ذوو المنازع القومية والوطنية ، ولو كانوا يدينون بالوثنية ، آمنا بأن محمدا رسول الله . فقد علم الناس من قبل أربعة عشر قرنا أن تربة الوطن معجونة بريق أبنائه تشفي من القروح والجروح . ليربط بين تربته وبين قلوبهم عقدا من المحبة والاخلاص له . وليؤكد فيها معنى الحفاظ له والاحتفاظ به . وليقرر لهم من منن الوطن منة كانوا عنها غافلين . فقد كانوا يعلمون من علم الفطرة أن تربة الوطن تغذي وتروي . فجاءهم من علم النبوة انها تشفي فليس هذا الحديث ارشادا لمعنى

طبي ولكنه درس فى الوطنية عظيم . ولو أنصف المحدثون لما وضعوه فى باب الرقى والطب فانه بباب حب الوطن اشبه . وما نرى رافع العقيرة بقوله :

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة * بـواد وحولي اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنـة * وهل تبدون لي شامة وطفيل

الا سائرا على شمامه . وما نرى ذلك الغريب المريض الذي سئل فيم شفاؤك ؟ فقال : شمة من تربة اصطخر . وشربة من ماء نهاوند الا من تلامذة هذا الدرس ، — ولقد زادنا ايمانا به بعد ايمان انه يقول : تربة ارضنا بريقة بعضنا ولم يقل : تربة الارض بريق بني آدم فليس السر فى تربة وريق ومرض . ولكن السر فى أرضنا وبعضنا ومريضنا — فهذه —والله ربنا— صخرة الاساس فى بناء الوطنية والقومية لا ما يتبجح به المفترزرن .

ويقول الروحانيون : ان هناك روحا طاهرة تتصل بتربة الارض التي خلق المريض منها وتغذى بنباتها ومائها . وتنفس كبده فى جوها وهوائها . — من ريقة منفوثة نفث الخير من نفس مؤمنة قوية الروحانية طيبتها . فيكمل التكوين بين الريق والتربة مع اسم الله الذي قامت به السموت والارض وصلح عليه امر الدنيا والاخرة . فيحصل الشفاء بهذا العمل النفساني . واذا تجلت النفس بعجائبها لم يبق في الوجود عجيب .

ويقول غير هؤلاء ما يقول . وهذه المتون كاسمها متون ، وهذه الاصول كاسمها أصول .

وهكذا تاتي بعض المتون من كلام الله وكلام رسوله معجزة للعقول . فتتطاير من حولها الفهوم والاراء تطاير الشعراء ، ويظن كل عقل ان حرفته آلة لتفسير تلك المتون — والعلوم حرف العقول . والزمان من وراء الكل يصيح ان انتظروا . .

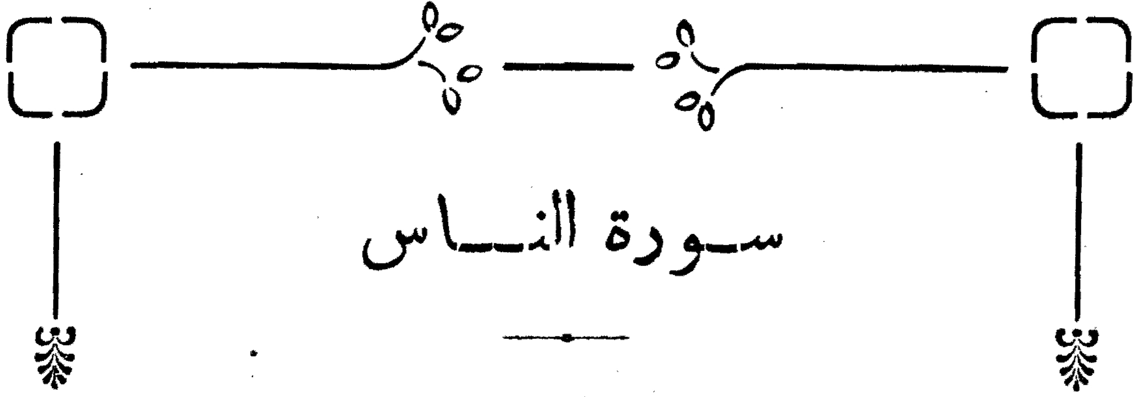
ومن شر حاسد اذا حسد — الحاسد الذي قامت به صفة الحسد . وهو الذى يحب أن تسلب النعم من غيره . وقد تلج به هذه الصفة الذميمة فتزين له سلب النعم حتى من نفسه اذا توقف على ذلك سلبها من غيره . فهو لا يحب الخير لاحد ويتمنى ان لايبقى على وجه الارض منعم عليه . وانما ينشأ الحسد من العجب وحب الذات فتسول له نفسه أن غيره ليس أهلا لنعم الله . وكفى بهذا محادة للمنعم .

والحسد شر تلازمه شرور . العجب والاحتقار والكبر . وقد جمع ابليس هذه الشرور كلها حسد آدم عجبا بنفسه فقال أنا خير منه ورآه لا يستحق السجود احتقارا له فقال أهذا الذى كرمت علي ثم تكبر ولم يسجد ورضي باللعنة والخزي . ولا أشنع من صفة يكون ابليس فيها إماما .

والحسد شر على صاحبه قبل غيره لانه يأكل قلبه ويورق جفنه ويقض مضجعه ولا يكون شرا على غيره الا اذا ظهرت آثاره بأن كان قادرا على الاضرار أوساعيا فيه ولهذا قال تعالى : اذا حسد . والمتمني للشيء لا يمنعه من اتيانه الا العجز .

وأعظم ما ينمي الحسد ويغذيه امتداد العين الى ما متع الله به عباده من متاع المال والبنين ، ونعمة العافية والعلم والجاه والحكم وقد نهى الله نبيه عن مد العين الى ما عند الغير فقال : « ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » .

وفى هذه الاية مع النهي ارشاد الى علاج الحسد فان الحسد مرض نفساني معضل ولكنه كغيره من الامراض النفسية يعالج . وقد وصف الحكماء له انواعا من العلاج فصلتها كتب السنة وكتب الفقه النفسي ككتاب الاحياء للغزالي .



سورة النــاس

قال تعالى : قل أعوذ برب الناس — قد علمنا ان الصفة الجامعة بين هذه السورة وبين التي قبلها (هي المعوذتان) وعلمنا انها تسمية نبوية وقد جرت هذه الصفة مجرى الاسم لهما . اما الاسم الخاص بهذه السورة فهو — الناس كما ان الاسم الخاص بالسورة الاولى — الفلق والمناسبة بين السورتين يرشد اليها اشتراكهما في الوصف وهو التعوذ بهما من الشرور المذكورة فيهما ، وفي السورة الاولى الاستعاذة من الشر العام ومن ثلاثة أنواع منه ذكرنا الحكمة في تخصيصها بالذكر . وفى هذه السورة الاستعاذة من شر واحد لكنه سبب فى شرور كثيرة

والمناسبة القريبة بين السورتين هي أن النفوس الشريرة ثلاثة أقسام . قسم يصدر عنه الضرر ويعمله ، وقسم لا يريد الخير فيسعى فى سلبه وانتزاعه وهو شر من الاول . وقسم يعمل الى ايصال الشر الى سلطان الجوارح ومالك هديها وهو المضغة التي اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله . فهو يحسن له الاشياء القبيحة ويأتيه من جميع النواحي على وجه النصح وارادة الخير ويزين للانسان كل ما يرديه من القبائح ، ويأتيه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله قريبا منه متصلا بهواه ، وهذا القسم الاخير هو الذي يوسوس بكلمة السوء مزينة الظاهر مغطاة القبح حتى تستنزل صاحبها الى الهلاك ولما كان هذا القسم الثالث أعظم خطرا واكثر شرا واخسر عاقبة خصص التعوذ منه بسورة كاملة .

رب الناس هو مربيهم ومعطيهم فى كل مرتبة من مراتب الوجود ما يحتاجون اليه لحفظها وهاديهم لاستعمال ما من به عليهم فيما ينفعهم — ربنا الذي اعطى كل شيء

خلقه ثم هدى واصله من ربه يربه ربا اذا قام على نشأته وتعاهده في جميع اطواره الى التمام والكمال وهو لفظ المصدر ولكن معناه معنى اسم الفاعل كاعدل يراد به العادل

ومالك الناس - هو الذي يملك أمر موتهم وحياتهم ويشرع لهم من الدين ومن الاحكام مايوافق حياتهم الدنيوية والاخروية .

واله الناس هو الذي يدينون له بالعبادة والعبودية

وبلاغة الترتيب انما تظهر جلية عند استعراض اطوار الوجود الانساني فالاول طور التربية والاعداد وهما من مظاهر الربوبية ، والثاني طور القوة والتدبير وهما من مظاهر الملك والثالث طور الكمال والقيام بوظائف العبودية وهو من مظاهر الالوهية .

والمستعاذ منه تارة يوسوس للانسان بما يفسد عليه صلته بربه . وتارة بما يفسد عليه تدبيره وما شرع له لمنفعته وصلاحه . وتارة بما يفسد عليه عبوديته له وهي أشرف علائقه به وأقوى صلاته وجماع ذلك ان يبعده عن الله بالوسوسة بواحدة من هذه أو بكلها أو بما يتفرع عنها مما تضمنته الايات المبينة لافعال أصل هذه القوة الموسوسة مثل قوله تعالى : « الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء » او لذلك الشان الجاري مجرى الحوار بين ابليس وخالقه كقوله تعالى : قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين » وكقوله تعالى : قال أريتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتني الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا » وكقوله : ولاضلنهم ولامنينهم ولامرنهم فليبتكن آذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله » فهو جاهد في ان يبعد الناس عن الله بافساد العقيدة الصحيحة فيه أو بالصرف عن شرع الله أو بالحمل على عبادة غيره فلذلك كله جاء الترتيب على هذا النمط المذكور بتلك العلائق القوية التي يريد الشيطان أن يقطعها .

والرب رب الناس وغيرهم بل رب العالمين وانما خص الناس بالذكر لانهم هم هدفه ومرمى وسوسته . ولانهم هم المامورون بالاستعاذة منه . ولان عالم

التكليف أشرف فاليهم يوجه الخطاب واليهم يساق التحذير وهذه الوسوسة نتيجة للعداوة بين اصليهما فامر الله بالاستعاذة منها هو تسليح الهي لبني آدم لتثبيت سنة التعمير التي هى حكمة الله من وجودهم .

ونكتة اخرى فى تخصيص الناس بالذكر دون بقية افراد المربوبين وهى انهم هم الذين ينطبق عليهم ناموس الهداية والضلال . وقد ضلوا بالفعل فى ربوبية الله وفى الوهيته .. ضلوا فى الربوبية باتخاذ المشرعين ليشرعون لهم من الدين ما لم ياذن به الله ويصدونهم بذلك عما شرع الله . وضلوا في الالوهية بعبادة غير الله بما لا يعبد به احد غيره كالدعاء .

واختير لفظ الناس من بين الالفاظ المشاركة له في الدلالة كالبشر والبرية لانه ينوس ويضطرب وينسق وهي صفات يلزمها التوجه ويسهل التوجيه فلا غنى لصاحبها عن توفيق الله للوجهة الصالحة والتسديد فيها ما دام لا يملك لنفسه ذلك . وما دام محاسبا عليه وما دامت هناك قوة مسلطة تنزع به الى الشر .

ففى تخصيص الناس بالذكر تنبيه الى انهم احوج المربوبين الى تاييد الله واحقهم بطلب ذلك منه — وقد ارشدهم الى ذلك وله الحمد .

ولو تفقه الناس فى معنى اسمهم واشتقاقه لعلموا بفطرتهم انهم مخلوقات ضعيفة لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا ولأيقنوا أنه لابد لهم من رب يربيهم ويحميهم ومالك يدبر امورهم وإله يعبدونه ويتخذون العبودية له جنة من استعباد الاقوياء .

ويجوز — اذا راعينا الادب وكمال التنزيه فى حمل الالفاظ التي تضاف الى كلمة رب على اشرف معانيها — ان تحمل كلمة (الناس) على معنى أخص مما يتناوله عموم الجنس . وهو الاماثل والاخيار منهم الجامعون لمعاني الانسانية الفاضلة وهذا المعنى تعرفه العرب فانهم كثيرا ما يطلقون اسم الجنس على الفرد أو الافراد الكاملين فى حقيقته . وان كان هذا من المجاز فى كلامهم وقد حملوا على

هذا المعنى قوله تعالى : « آمنوا كما آمن الناس » .

ونكتة الاعادة والاظهار للفظ الناس ، توضيح المعنى والفات النفس اليه وايقاظ شعورها به والتسجيل على الناس بان لهم ربا هو مالكهم وإلههم ،

من شر الوسواس — الوسواس هنا صفة الموسوس وإن خالف المعهود فى أبنية الصفات او هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال والزلزلة وأصل هذه الكلمة دائر على معنى الخفاء والعرب تسمي حركة الحلي وسواسا ، وهذا المعنى واضح في المراد هنا فان الموسوس من الجن في نهاية الخفاء هو وعمله ، والموسوس من الانس يتحرى الاخفاء ما استطاع ويحكم الحيلة في ذلك ولا يرمي رميته الا فى الخلوات . وان الناس ليعرفون عرفانا ضروريا من الفرق بين المصلحين والمفسدين أن الاولين يصدعون بكلمة الحق مجلجلة ويرسلون صيحته داوية ويعملون أعمالهم فى وضح النهار ومحافل الخلق وان الاخرين يتهامسون اذا قالوا ويستترون اذا فعلوا ويعمدون الى الغمز والاشارة والتعمية ولو وجدوا السبيل لكانت لهم لغة غير اللغات . ولكان الزمن كله ظلمات ، والارض كلها مغارات .

والخناس — وصف مبالغة في الخانس من الخنوس وهو التاخر بعد التقدم ومن ملابسات هذا المعنى ومكملاته فى المحسوس انه يذهب ويجيء ويظهر ويختفي اغراقا فى الكيد وتقصيا في التطور حتى يبلغ مراده . فالله تعالى يرشدنا بوصفه بهذه الصفة الى ان له في عمله كرا وفرا وهجوما وانتهازا واستطرادا على التصوير الذي صوره ابليس في ما حكى الله عنه : « ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم » . — يرشدنا بذلك لنعد لكل حالة من حالاته عدتها . ولنضيق عليه المسالك التي يسلكها ، كما أن وصفه بهذه الصفة يشعر بانه ضعيف الكيد لان الخنوس ليس من صفات الشجاع المقدام . وانما هو كالذباب تذببه بذكر الله من ناحية فياتيك من ناحية ثم دواليك حتى تمل او يمل . واما التهويل

في وصفه بما ياتي بعد فهو مبالغة في التحذير منه لان وصفه بالضعف مظنة لاحتقاره والتساهل في امره .

الذي يوسوس في صدور الناس — قال يوسوس بالمضارع اشعارا بعد اشعار بتجدد الوسوسة منه وعدم انقطاعها . وقال في صدور الناس . والصدر ملتقى حنايا الاضلع ومستودع القوى التي كان الانسان انسانا بها ومجمع المضغ التي تحمل تلك القوى . والقلب واحد منها فالقلب غير الصدر وانما هو فيه ولذلك قال : « ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » ومواقع استعمال القرآن لكلمة الصدر مفردا وجمعا والحكم عليها بالشرح والحرج والضيق والشفاء والاخفاء والاكنان — ترشدنا الى انه ليس المراد منه الصورة المادية ولا اجزاءها المادية وانما المراد القوى النفسية المستودعة فيه وان الوسواس الخناس يوجه كيده ووسوسته دائما الى هذه القلعة التي هي الصدر لانها مجمع القوى .

وقال في صدور الناس ولم يقل في قلوب الناس لأن القلب محلى العقل ومقر الايمان وقد يكون محصنا بالايمان فلا يستطيع الوسواس أن يظهره ولا يستطيع له نقبا .

من الجنة والناس — الجنة جماعة الجن وهم خلاف الانس والمراد هنا اشرار ذلك الجنس لان منهم المسلمين ومنهم القاسطين . واستعمل لفظ الجنة في القرآن بمعنى المصدر الذي هو الجنون في قوله تعالى : « ما بصاحبكم من جنة » . ولما كان الموسوسون فريقين متعاونين على الشر ذكرهما الله تعالى في مقام الاستعاذة من شر الوسوسة ليلتئم طرفا الكلام ويحصل التقصي الوصفي في المستعاذ به والمستعاذ منه .

وقد قسم القرآن الشياطين وهم القائمون بوظيفة الوسوسة الى قسمين شياطين الانس وشياطين الجن وذكر ان بعضهم يوحي الى بعض زخرف القول وشيطان الجن ميسر للشر فكل من يعمل عمله من الانس فهو مثله . ومن شياطين الانس بطانة

السوء وقرين السوء .

وورد فى الآثار ان لكل انسان قرينا من الجن وقال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ، وقال وقيضنا لهم قرناء ، وهو من باب توزيع الجمع على الجمع اى لكل واحد قرين ، فهذا الانسان الضعيف يلازمه قرين من الجن ثم لا يخلو من قرين او قرناء من الانس يزينون له ما بين يديه وما خلفه ويصدونه عن ذكر الله ، فماذا يصنع ؟ ماعليه الا ان يلتجئ الى الله ويستعيذ به ويتذكر فانه لا يوخذ وهو ذاكر مستيقظ وانما يوخذ اذا كان غافلا . قال تعالى : واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال تعالى : ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون

ومن دقائق القرءان ولطائفه فى البلاغة انه يقدم احد الاسمين المتلازمين فى ءاية لسر من اسرار البلاغة يقتضيها ذلك المقام ، ثم يؤخر ذلك المقدم في ءاية اخرى لسر ءاخر فيقدم السماء على الارض في مقام ويؤخرها عليها فى مقام ءاخر ومن هذا الباب تقديم الانس على الجن في ءاية الانعام لان معرض الكلام في عداوتهم للانبياء وهي من الانس اظهر ودواعيها من التكذيب والايذاء اوضح وفي ءاية « الناس » قدم الجنة على الناس لان الحديث عن الوسوسة وهي من شياطين الجن اخفى وادق وان كانت من شياطين الانس اعظم واخطر وادهى وامر ، فشيطان الجن يستخدم شيطان الانس للشر والافساد فيربى عليه ويكون شرا منه لانه بمثابة السلاح الذى يفتك به ؛ ورب كلمة واحدة صغيرة يوحيها جني لانسي ويوسوس اليه بتنفيذها فتتولد منها فتن ويتمادى شرها من قرن الى قرن ومن جيل الى جيل ، وهذا النوع الانسانى المهيأ لقابلية الخير وقابلية الشر ، اذا انحط وتسفل كان شرا محضا ، واذا ترقى وتعالى شارف افق الملأ الاعلى واوشك ان يكون خيرا محضا لولا ان العصمة لم تكتب الا لطائفة منه وهم الانبياء عليهم الصلاة

والسلام

فالانسان اذا انحط يكون شرا من الشيطان ، واذا ارتقى يكون افضل من الملك — اعنى جنس الانسان — ومن هذا الجنس كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم اكمل الخلق الذي ليس لمخلوق رتبة مثله في الكمال

انتهى تلخيص الدرس وقد حرصنا على ما وعته الذاكرة من معانيه وقيده القلم من الفاظه ثم تصرفنا فى المواضيع التى طرقها الاستاذ بما لا يخرج عن مراده ولا يخالف طريقته في تفسير كلام الله والله ينفعنا بالقرءان ويوفقنا الى خدمته

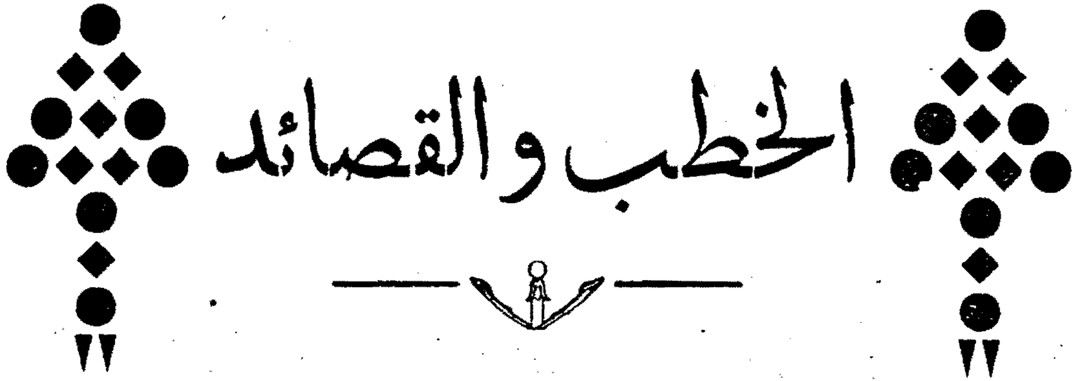


فضيلة الاستاذ البشير الابراهيمي



رئيس لجنة الاحتفال

فى موقف من مواقفه فى حفلة التكريم بكلية الشعب



يوم الاثنين الموالى ليوم التفسير اقيمت بكلية الشعب حفلة رائعة لتكريم الاستاذ المفسر والاعتراف بما له من الايادى البيضاء والآثار الجليلة في العلم والدين والعربية وكانت هذه الحفلة باسم تلامذة الاستاذ على اختلاف طبقاتهم والوافدين على اختلاف جهاتهم ، ولما كانت الساعات المرخص فيها من ادارة كلية الشعب محدودة لم يأذن رئيس الاحتفال الاستاذ محمد البشير الابراهيمى الا بعدد محدود من الخطباء والشعراء فى القاء خطبهم وقصائدهم ولما كان عددهم كثيرا فقد اعتبر فى ذلك التمثيل للطبقات او الهيئات

وهاهي اسماء الخطباء والشعراء على ترتيبهم فى الالقاء

١	الشيخ : ناصر الدين ناصر	خطبة
٢	« : الجيلاني بن محمد الاصنامي	«
٣	« : باعزيز بن عمر الزواوي	«
٤	« : عيسى الدراجى	«
٥	« : البشير الريغي	«
٦	« : محمد الحسن الورتلاني	«
٧	« : احمد بن عبد الحفيظ السالمي	«
٨	« : محمد الهادي عادل اليعلاوي	«
٩	« : محمد المنصوري	«
١٠	« : ابو بكر الاغواطي	«
١١	الشيخ : محمد بن العابد الجلالي	خطبة
١٢	« : احمد البوعزني	قصيدة
١٣	« : مبارك جلواح	«
١٤	« : عمر بن البسكري العقبي	«
١٥	« : سعيد صالحي	«
١٦	« : محمد العيد	«
١٧	« : عبد الحفيظ الجنان	خطبة
١٨	« : محمد البشير الابراهيمي	«
١٩	« : عبد الحميد بن باديس	«

خطبة الشيخ

ناصر الدين ناصر

باسم الطبقة الاولى من تلامذة الاستاذ بن باديس

خطب الشيخ ناصر الدين ناصر وهو من الرعيل الاول من تلامذة الاستاذ الشيخ ابن باديس الذين تلقوا التعليم في سني الحرب الكبرى وهو الآن في ءاخرسن الكهولة قد وخطه الشيب مخضرم جمع بين عهدين ولكنه الان يحمل حتما مضطرما على اول عهديه ، ويعمل لنشر الاصلاح بتلك الروح المضطرمة

خطب في الاحتفال بتكريم الاستاذ واستكماله خمسة وعشرين سنة في التعليم ، فكان ممثلا لقدماء التلامذة تمام التمثيل ومصورا لذلك العهد ابدع التصوير ففهم السامعون لخطبته كيف كان الانتقال من حال الى حال .

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ايها الوفود المتقاطرون من كل صوب لهذا الاحتفال الذى تعد اقامته تقديرا لحياة الامة الحياة الروحية الادبية الخالدة . ويعد حضوره إجابة لداعي الله . « ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه أولياء » . بل حضوره شاهد عدل أمام الجاحدين على ما للدعوة الاصلاحية من نفوذ وسلطان وعلى مبلغ تغلغلها في النفوس .

أما بعد فان أخاكم لم يقف موقفه هذا ليطرف أسماعكم بشيء جديد

مبتكر فانه لبس من ذلك الطراز . ولكنه دفعه الواجب أن يبدي لكم — على ضوء التجربة — كيف يتدرج النمو في عقلية الامم والمجتمعات كتدرجها فى الفرد . وكيف تتطور الافكار تبعا لسنة التطور في كل شيء . أصارحكم إخواني بانني كنت من الذين ساعدهم الحظ وطاوعهم القدر للانتهال من هذا المنهل العذب الذى أصبح يغدق فيوضه على ربوع هذا القطر الوديع وقد عرفنا من بداية هذا الامر ما لم نعرفه في أوساط التعليم فى هذه الديار وكان العلم لاأثر له في نفوس حامليه اللهم الا تقارير حول قواعد منعزلة عن التطبيق يخرج حامل لقب العلم منها كما دخل . وما عتم ان انبعثت تلك الاشعة الوهاجة من نور ذلك الشعور الحي . فاذا الجو غير الجو فاذا العبقرية تنفخ في الجامد روحا وتذكي فى ميت الفكر حياة فاذا هي تتنقل بالنفوس من علم مجرد الى نظر الى تطبيق يتوجه للعمل .

فهاكم مثالا واحدا من امثلة تستغرق عددا كبيرا من نوعها مما صحت تجربته في نفسي وكانت سببا بلطف الله فى انتشالي من انحطاط فكري كنت فيه .

كانت دروس التفسير يوما انتهت الى قوله عز وجل « وحاجه قومه قال أتحاجونى في الله وقد هدان) الايات فتناولت هذه الايات تلك الفكرة النيرة وتلك التحليلات الشافية فعرفنا كيف تقام الحجة وكيف يستنبط الدليل وكيف يتجرد الباحث من أي تاثير مذهبي أو حزبي أو جنسي عند ما يتحفز للغوص الى الحقائق العارية المجردة . وبهذه الخطة المرسومة لاثبات الحق وابطال الباطل وقفنا على المرامي التي يلوح لها القرآن أحيانا ويصرح أخرى فى اصلاح البشرية . ووقفنا على الحواجز التي أقيمت في سبيل فهم القرءان ووقفنا على ما يحيك فى صدور الذين يبغونها عوجا . وهكذا عرفنا الطب الذي يعالج القرآن بقانونه الامراض الاخلاقية والاجتماعية . بتعاليم هذا القرآن وارشاداته كان اولئك الذين

ساسوا الامم وفتحوا مغاليق العلم لا تنكسر لهم راية في كل موقف يقفونه فاصبحوا سادة العالم أجمع بعد ذل كانوا فيه .

أيها الاخوان ان الوقت قد حان للرجوع الى ذلك التراث الذي تركه الاسلام فينا وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه «ألم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق .

وختاما اليك أوجه خطابي أيها الروح الذي بعث الحياة في أعصاب هذه الامة وصاغ لها من نفسه قلبا يطفح احساسا وشعورا بالواجب .

ان خطابي المتواضع ليتضاءل أمام عظمتك ، وما الذي أقول ؟ وأنت تاريخ على حدة ،

وما مثلي ومثلك الا مثل ذلك الاعرابي الذي فقد راحلته وضل سواء السبيل في حندس من ظلام الليل واهتدى على ضوء القمر اليها ورفع الى القمر راسه فقال : ما ذا عسى أن أقول فيك أيها القمر ان قلت زادك الله رفعة فمسكنك السماء أو ضوءا ففيك كل الضياء أو محبة فقد ملكت كل فؤاد أو منفعة فانت النفع للعباد والبلاد .

ناصر بن الطيب ناصر الدين

خطبة الشيخ الجيلاني بن محمد الاصنامي

من تلامذة الاستاذ الوافدين

الى تونس

في كل عام تنزح طائفة من تلامذة الأستاذ الى تونس لاستكمال معلوماتها بجامع الزيتونة المعمور. واكثر قادة الحركة التعليمية اليوم بالجزائر من هذه الطبقات وقد القيت الخطبة الآتية في الاحتفال باسمهم وهي بقلم الاستاذ الجيلانى بن محمد الاصنامي احد المباشرين للتعلم بجامع الزيتونة، وهذا نصها.

الحمد لله الذى خص هذه الامة بخير نبيء ارسل. واهدى كتاب انزل. وجعل منها طائفة تقوم بخدمته، وتسهر على حراسته : وتجني للأمة ثمراته وأستأنف حمده جل شأنه على ان حفظه فى الصدور. واستفز بفهمه العقول، وجعله منبع هداية البشر فى عالم الظهور. فارتقى شان البشرية، واهتدت بنوره بعد طول الحيرة. واسترشدت بنوره بعد طول امد الغواية. وصلى الله على سيدنا محمد هادى الامة الى رشادها، وكابح الطغاة عن ضلالها. ومنقذ الانسانية من تعاستها. وعلى ءاله وأصحابه الهادين المهتدين ما نطق لسان بصدق. ونهض داع بحق.

اما بعد ايها السادة : فانى احييكم تحية ملؤها الفرح والسرور، وصبغتها الشعور الاسلامي بالتضامن والاتحاد. والاخاء والوداد، ومغزاها المشاركة الروحية فى هذا الاحتفال العظيم. بختم القرءان الكريم. الذى منعتنا من حضوره موانع لا قبل لنا بدفعها. وأتقدم اليكم باجمل تشكراتى على اريحيتكم وشعوركم بداعى القرءان يهيب بكم و يردد صداه في اعماق قلوبكم فتتأتون على تنائى الديار او

تصاقبها اجابة للدعوة وتلبية للمهيب . مدفوعين بدافع القرءان ومجذوبين بأزمة الفرقان وما القرءان الا مظهر عزتكم ومناط سعادتكم

ايها السادة :

ان المقصد الاسمى من كتاب الله هو هداية البشر وسوقهم بما فيه من امر ونهي ووعد ووعيد وحكمة وعبرة — الى مانيه سعادتهم الابدية وعزهم السرمدي ولقد فهم سلفنا الصالح حكمة انزال هذا الكتاب الكريم وانه دستور سماوي قصد به حمل الخلق على قوانينه . وتسييرهم على مقتضى نظمه وتشريعاته . فبادروا الى اتباعه والاهتداء بهديه والوقوف عند امره ونهيه فكانوا بذلك اسعد البشر حتى دانت لهم اعظم دول العالم وأداروا الكرة الارضية من جدران الصين الى المحيط الاطلنطيكي في زمان يستحيل في مجارى العادة البشرية ان يتسع لمثل ذلك ، أو تظنون ان ذلك يمكن لوانهم فهموا القرءان كما فهم اهل العصور الأخرة فكانت بهم احط العصور . واشدها بلاء على الاسلام فى جميع انحاء المعمور .

مضت تلك القرون العامرة النيرة ، وجاءت بعدها قرون الظلمات ، وذهب ذلك السلف الصالح وخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وعدلوا بالقرءان الكريم ، عن المقصد الأسمى والمنهج القويم . فكان ما انتم سامعوه وما انتم مشاهدوه من الانحطاط بعد الترقي والتقهقر بعد التقدم والجهل المطبق بعد ان كنا منار علم يستضيىء به العالم اجمع وتلك نتيجة لازمة للانحراف عن كتاب الله وسنة رسوله ، « وان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . »

وقد لحظت العناية الالهية هذه الامة فقيض الله لها رجالا من نفسها يلفتونها الى كتاب ربها ، ويرجعون بها اليه ، ويقفون بها على ماضيعت من كنوزه وذخائره ، ففجروا ينبوعه للصادين . واقاموا مناره للصادين ، وكشفوا عن حقائقه واسراره للغافلين . وابانوا هدايته وارشاده للضالين ، ومن تلكم الجماعة المباركة

واولئك الرجال الأبرار كان استاذنا الجليل ابقاه الله ولكنه كان اشدهم اضطلاعا بالعبء واكبرهم حظا في نشر الهداية، وأعظمهم ابلاء في سبيل الله فقد توجه لخدمة الامة بكتاب ربها . ففض ختم مبانيه وافترع ابكار معانيه، وحفز العقول الى تدبره وكشف الحجاب عن النور الالهي فيه، فسطع نوره في القلوب، وظهر للناس بارشاده على فترة طويلة من الغفلة والاعراض ان هذا الكتاب كتاب هداية وسعادة، وانه صالح لكل عصر وملائم لكل روح وموافق لكل جيل الى ان يرث الله الارض ومن عليها، فنشطت النفوس من عقلها وانحلت عقد الألسن من خرسها؛ وتفجرت ينابيع اللغة العربية من كتاب العربية المعجز واصبحت بلابلكم تصدع بانغامها، بعد ان ضربت العجمة بينهم وبينها حجابا كنا نظن ان لن يخرق . واحكمت بينها سدا كنا نظن ان لن يقتحم.

ايها السادة :

ان هذا الاحتفال الباهر بختم القرءان الكريم الذى هو نتيجة لخدمة كتاب الله ربع قرن لهو اول احتفال من نوعه في تاريخ الجزائر الحديث فقد اشرقت فيه شمس القرءان في سماء الجزائر الفتية بعد ان حجبتها الغيوم قرونا . فاستنارت قلوب المسلمين بنوره وتبلدت حنادس الجهل المنكثفة على عقولهم وانزاحت عن البصائر غشاوة الاوهام . ووضحت لها معالم الهدى . وافتضحت شبهات الضلال . فليسجل التاريخ هذه المفخرة الخالدة والذكر المتجدد لفخر الجزائر وزعيمها الاكبر استاذنا الجليل الشيخ عبد الحميد بن باديس ولمجلة «الشهاب» الغراء فهي ذات الخطو الاوسع والباع الأطول في ابلاغ هذا النور الالهى للمسلمين في هذا القطر وفي غيره وفي حمله إلى الفلاح في حقله والى التاجر في دكانه والى المعلم في مكتبه حتى سرت الهداية القرءانية في نفوسهم سريان الارواح في الابدان والماء في العيدان . والبرء في الجسم العليل وانتعشت نفوس هذه الامة بعد ان أشفت على العطب واصبح المسلمون

يشيدون بذكريات الله ويهتفون بالدعوة اليه ويتثاءرون بالرجوع الى مشرعه الصافي ويتداعون الى تحكيمه في كل ما يشجر بينهم من خلاف .

هذه الخدمات الجلى — ايها السادة — التى قدمت للاسلام والمسلمين . وهذه الجهود المتضاعفة لتطهير العقائد وتهذيب النفوس وتثقيف العقول . والارتقاء بالافكار الى اسمى معارج التفكير . وهذه الاصداء العلمية المتجاوبة فى ارجاء الجزائر كلها — كانت بفضل ما قام به الاستاذ الحكيم في هذه الديار من تفسير كتاب الله على الوجه الذى يحقق اعجازه وخلوده . ويبين للمنكرين والمرتابين اجلى بيان — ان هذا الكتاب الذى هو اعز علينا من ارواحنا كافل للسعادة واف بالمصالح صالح لكل عصر مساير لكل رقي غير منافي للعلم بل هو منبعه ولا مناف للمدنية بل هو مشرعها ،

اما انت ايها الاستاذ الجليل والاب الروحي لهذه الطوائف المقيمة على العلم والمهاجرة في سبيله . فلا كفاء لك في هذه الدنيا الا ما تحقق ما تريده للجزائر من خير وسعادة ، ولا جزاء لك فى الاخرى الا الجنة ومقام الصدق — ان شاء الله — وفداء لك الارواح التى أنشرتها والعقول التي أنرتها والنفوس التي انعشتها ، ولتحي مخلدا فينا محتلا لقلوبنا ممتزجا بارواحنا ممتعا بالعافية الوافرة والعمر الطويل

وهذا دعاء للبرية شامل .

تلميذكم الجيلاني بن محمد الاصنامي الجزائري

بجامع الزيتونة

خطبة الاستاذ باعزيز بن عمر الزواوي

المدرس بمدرسة الشبيبة الاسلامية بالجزائر

(الاستاذ باعزيز بن عمر من تلامذة الاستاذ النابغين عصامي ، كاتب جزل الاسلوب وصف بارع رافق قلمه النهضة في عنفوانها فحامى عنها وناضل وكان له فى ميدانها جولات وقد عاقه عن حضور الاحتفال عائق فكتب بهذه الكلمة والقيت فيه باسم تلامذة الاستاذ المباشرين للتعليم)

وهذا نصها .

سادتى واخواني :

أحييكم أصدق تحية . وأهنئكم وأهنيء نفسي بهذا العيد العلمي الزاهر الذي يصل حاضر قسنطينة بماضيها المجيد . وتتجلى فيه الصلة الروحية التي تربطنا جميعا باستاذنا الاكبر ابن باديس في أجلى مظهر وأجمل منظر .

أيها الاخوان أبناء أستاذنا البررة :

وددت أن لو تم لي شرف الحضور فى هذا الحفل المشهور كما تم لي شرف الانتساب الى الجامع الاخضر . اذا لجمعت بين الحسنيين وشاركتكم جسما وروحا في القيام بحق الوفاء لأستاذنا الجليل وكنت من الفائزين .

وإني لألتمس المعذرة من حضرتكم فيما لا قبل لي به . وأقسم لكم أنى على مبدإكم القويم ما عشت كما أرجو أن تتقبلوا مني هذه الكلمة قبولا حسنا إذ است أملك سواها وإن كنت أراني لا أبلغ بها مبلغ ما يجب في حق من جمع الله فيه

امارة العلم وامارة النسب فبعث الجزائر الغابرة في عهدها الزاهرة . فأصبحت تسير بقدم ثابتة فى طريقها الاول من جديد . بعد أن وقفت هذا الامد الطويل لا تبدىء ولا تعيد . فتحكم الجهل فى رقاب أبنائها . ونال من محاسنها الاسلامية وغطى على ما فيها من عظمة ونبوغ ومجد مؤثل .

أيها الاخوان:

إن عظمتنا التاريخية إسلامية مستمدة من القرآن فلا يمكن أن ننهض بغير الاسلام . وكتاب الاسلام ولغة الاسلام وعلى هذا فاننا نعد ختم تفسير الذكر الحكيم على طريقة أستاذنا عبد الحميد بن باديس عرضا جميلا لعناصر تلك العظمة وتثبيتا لها فى اذهان الناشئة وبناء متين فى صرح نهضتنا العلمية الدينية المباركة — وهذا لا يتيسر الا لمثل ابن باديس في علمه الغزير وما حباه الله من مواهب فياضة ومقدرة خارقة فى الغوص على المعاني البعيدة والكشف عن أسرار التنزيل فى أسلوب من بلاغته واعجازه . يأتيك بالقول الفصل فيما ضلت فيه الافهام ، فيزيدك ايمانا ببلاغة القرآن . وعظمة هذا الدين في سمو ذاك البيان وان خمسا وعشرين سنة قضاها فى تغذية النفوس وتثقيف العقول على هذا المنوال من هدي القرآن في مثل هذه البلاد ، وفى هذا العصر الذي كثرت فيه محاولات المفسرين لتزهيدنا في كتاب ربنا ومصدر سعادتنا لجديرة أن تتخذ له في كل قلب يخفق بحب الاسلام والعربية تمثال حب وتقدير لجهوده المبذولة في رفع منارهما واعادة مجدهما القديم فى هذه الربوع . فقد مكن لهما الله على يديه في ربع قرن من الزمان أن ينبعثا بالجزائر بصورة رائعة يجلوها هذا المهرجان العظيم كما مكن لهما أول مرة في ربع قرن فازدهرا فى كل صقع وكل مصر . وانتهيا بجهود أولئك الامجاد الى تاسيس حضارة زاهرة غيرت مجرى التاريخ وكان قوامها الحق والخير والفضيلة ،

أيها الاخوان :

ها هو الطريق الان معبد أمامنا لفهم القرآن كما يجب أن يفهم بفضل أستاذنا الامام ابن باديس إذ أدرك بثاقب فكره من يوم وضع حجر الاساس لهذه النهضة — أن لاحياة ولا نهوض ولاعقيدة لابناء الاسلام في الحضر الحاضر الا بشيء يهزهم هذا ويذكرهم بماضيهم كامة إسلامية . وما ذلك الا في الرجوع الى القرآن ذلك المعين السماوي الذي لا تنضب جداوله في أمة تنتسب الى الاسلام الا استولت عليها الحيرة وباءت بالخسران المبين ، فعمل بحزم وعزم على نشر هدايته ونوره بيننا حتى أنقذ أمة من هوة اليأس السحيقة وكون لها جنودا من أبنائها يذبون عن دينها ويحمون ذمارها ويبلغون هديها صافي المشرب الى الاجيال الاتية .

وإنه لمن دواعي السرور أن الامة الجزائرية قد أدركت أنها مدينة لابن باديس في نهضتها العلمية الدينية فأقبلت زمرها ووفودها من سائر أنحاء القطر لتشارك في هذا الاحتفال الديني العظيم ، وتساهم في تكريم الاستاذ وتقدير أعماله . وما أظهرت بذلك الا نبل عاطفتها نحو العلم والدين بشد الرحال اليهما لا إلى أمكنة خاوية على عروشها وأضرحة بليت على أصحابها يساء فيها الى العلم والدين باسم العلم والدين .

ايها الاخوان

ان الذين لم ينظروا فى القرءان نظر ابن باديس كانوا وبالا علينا وحربا على القرءان اذ فتحوا بجمودهم وخمولهم بابا للأجانب عن هذا الدين يلجونه للطعن فى القرءان واهله بما سولت لهم نفوسهم المنطوية على الحنق والكيد لهذا الدين . فأخذوا يقولون ويكتبون في الصحف ان القرءان هو الذي قعد بالمسلمين عن مجاراة الامم الحية في هذا العصر . وانه هو الذى لا يزال يبعدهم عن الاقتباس من المدنية الغربية القائمة وينفرهم من غيرهم . ويقطع الصلة بين المسلم وبين غيره من ابناء هذه الامم . ويزرع العداوة لغير المسلم في قلب المسلم . وقد سمعنا افرادا من هذه

الفئة المخادعة في هذه البلاد يحذرون من الخطر الداهم الذى ياتيهم من القرءان. ألا ساء ما يقولون.

ولو عقلوا وفكروا قليلا لعلموا ان القرءان ألف بين شعوب كثيرة متباغضة متحاربة فأصبحت متآلفة متآخية تعمل على نشر العدل والاخوة والسلام. لايمكن ان يكون اداة بغض وتنفير في قلب المسلم ولكن المعاملة السيئة هي التي تكون كذلك

ايها الاخوان:

نحن اليوم في حمى النهضة العلمية الدينية حقيقة فلننطق بلسانها المبين. ولنبين للهازئين الساخرين من الذين لم يريدوا ان يفهمونا — اننا اذا حفظنا كرامة العلم والدين وطبعنا النفوس عليهما فما نبالى ان يتقول علينا اصحاب الدخائل السيئة الاقاويل الباطلة ويرمونا بما شاءت لهم اهواؤهم.

ايها السادة:

هذه كلمتى القصيرة التى ان دلت على شيء فانما تدل على شعورى نحو استاذى الجليل ابن باديس وابتهاجى بهذا اليوم الأغر يوم ختم التفسير. اما ابن باديس المدرس والكاتب. والخطيب. والزعيم الديني الكبير فهذا كله ان يكون لى فى تحليله حظ من المشاركة غير منقوص فى فرصة اخرى ان شاء الله، وحسبي الان ان اقول فيه ما قال الشاعر

اعيا زوالك عن محل نلته * لا تخرج الاقمار عن هالاتها

فلنهتف جميعا من اعماق نفوسنا بحياة ابن باديس وحياة الجزائر المسلمة الناهضة فى دائرة العلم والدين. والسلام عليكم اولا واخيرا

باعزيز بن عمر

خطبة الشيخ عيسى الدراجي

(الشيخ عيسى الدراجي من الشبان الذين انشأوا حياتهم العلمية من اول مراحلها على يد الاستاذ وهو الان من رجال التعليم وهو وامثاله من عمار مراكز الاصلاح والتعليم — هم عماد جمعية العلماء فى نشر دعوتها الاصلاحية الدينية . وقد القى هذه الكلمة في الاحتفال ممثلا لطبقته .)

وهذا نصها :

افتتح الكلام باسم الله وحمده . وبالصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله وعبده . وعلى اله واصحابه وجنده ، الذين لم ترم الشكوك بنوازعها عقيدة ايمانهم . ولم تحم بهوافيها في جو ايقانهم ، رضي الله عنهم جزاء ما خدموا الاسلام وشادوا من صروحه . وكفاء مادرسوا القرءان حتى انتهوا الى سره ولبابه وروحه . ولله تلك العصابة المطهرة والفئة المصطفاة المخيرة . التي لم تمنعها قلة العدد ان تدلي على الدهر امرها ونهيها . ولم يقعد بها ضعف الحال ونقص المال عن ان تسعى لملك العالم سعيها .

سادتي واخواني الكرام :

هؤلاء اخوانكم ابناء الجزائر الفتية النافضون لغبار الجهل والكسل . وابناؤكم المستعدون للحياة الحقيقية والعمل ، والمستنكفون لانفسهم ولكم ان يكونوا او تكونوا في عداد السوائم والهمل . قد جدوا فى طلب العلم حين علموا ان الحياة جد . وكدوا في تذليل العقبات القائمة دونه لما اعتقدوا ان العلا تعب وكد . واغتنموا فرص

الأيام حين وانت واسعدت . مرشحين انفسهم لأخذ راية العروبة باليمين ، وللقيام على تراث السلف من علم وخلق ودين . وهم يحمدون الله على ان وفق وسدد . ويشكرون قائدهم واستاذهم على ما علم وارشد . ويعترفون لهذا الجمهور الممثل للامة كلها بما هون من الصعاب وعبد . وبما ارفق به ناشئة العلم وأرفد ، وبما اغاث به صريخها وانجد . وبما حاطها به من رعاية وتعهد .

فهذا الاحتفال الذى تشهدونه اليوم هو اعلان في الحقيقة لحمد الله وشكر الاستاذ وشكركم . ووقوف منا جميعا عند نهاية المرحلة الاولى من نهضتنا نعدد آثارها . ونحدث اخبارها . ونشيد بذكر العاملين المخلصين فيها . ونتحاسب على ما تم من الأعمال . ونتواصى بالحق والصبر الى ان نبلغ الكمال .

ايها الاخوان

ان اللغة العربية هي لغة كتابنا ، وكنز آدابنا ، والقاموس الجامع لأحسابنا والقائمة الحافظة لأنسابنا . ثم هي مع ذلك كله مفتاح اسرار ديننا العزيز . فهل يجمع بنا مع هذه الشوابك الروحية والتاريخية بيننا وبينها ان نعقها هذا العقوق الشائن الذى سبت به الاجيال البائدة منا . وسيكون وصمة اخزى للاجيال القائمة اذا لم نتدارك نحن امرها ونشد ازرها ونهيىء للاجيال الآتية بعدها ما لم يهيأ لنا من قبلنا

اننا سنقوم بحقها مستوفى . وننهض بعبئها مستكفى . ونرد نميرها مستصفى ونورثها بنينا ان شاء الله سهلة الموارد والمصادر . واضحة الرسوم والمعالم وان كره المناوئون لها الصادون عن سبيلها

ان هذه اللغة الشريفة لغة الخلود باهليتها الطبيعية للحياة . وبما جعله الله لسان دينه الخالد . فليهنأ المغيرون عليها والمغيرون لمحاسنها — بالا ، فان ما حفظه الله لا يضيع . وقد غفل عنها ابناؤها . فرثت حبالها . وادبر اقبالها . وماتت لهجتها

فى ألسنتهم . ولكن حبها لم يمت فى قلوبهم وافتتنوا عنها بغيرها . ولكن ارواحهم لم تسلها حتى اذا اذن الله بطلوع شمسها من جديد قيض من حرك تلك الهمم الخامدة وهز تلك النفوس الراكدة . فاستيقظت ثقيل من جدها ما عثر . وتجدد من مجدها ما اندثر . وقد سمعتم فى هذا المحفل الرحيب بلابلكم بها تصدح . وفى افيائها تمرح . وانا لنرجو فوق هذا مظهرا . ونستيقن ان هذه اللغة ستعود الى سيرتها الاولى وستخرج من غبار الوقائع مرفوعة الراس . شديدة المراس . قوية الباس . آمنة من الانتكاس .

ايها الآباء ايها السادة :

اننا نفدى هذه اللغة بالمهج وانا نعمل لاحيائها ورقيها كل ما يدخل فى الطاقة البشرية . وستكون منا في الحصن الحصين وستكون بنا امنع من عقاب الجو وستقوم على حفظها منا الالسنة والبصائر والافئدة وسنحييها لنحيا بها . وسنكون ابناءها البررة الحافظين لعهدها الراعين لذمتها وسنصل من وصل حبالها ونقطع من قطعها وهيهات هيهات لما يود المرجفون بها والعاملون على محوها بعد ان تبوأت من نفوسنا متبوأ الصدق . وبعد ان تذوقت منها السنتنا نطاف الشهد . وبعد ان تكفل الله بحفظها تبعا لحفظ دينه .

بلى ان اللغة العربية قد استقرت من نفوس ابنائها الاباة مستقر الطيور من شناخيب الذرى ، وآوت من تلك النفوس الى قرار مكين . قرار العقل والاحساس والدين . وان اقبال الامة الجزائريـة على لغتها اقبال العوذ المطافيل على اولادها لبشرانا في ما نرجوه . وفالنا لما نتحققه

نعم ان هناك عقوقا ظاهرا مفضوحا من بعض ابنائها . وكيدا مبيتا من بعض ذوي الاغراض . وهملا شائنا من بعض ذوى الغفلة . وامدادا من وراء ذلك كله تمد للقضاء عليها . واجلابا بالخيل والرجل لاستباحة حماها . ولكن ذلك كله لا

بضيرنا ولا يفت في عضدنا ما صدقت منا العزائم وصحت في خدمتها النيات .

إننا لا نأسى لجهل الجاهلين لها من غير أهلها . ولا نأسف على كيد الكائدين الذين لاحياة لهم الا بموتها . وانما ناسى ونأسف لان نرى فريقا من ابنائها الموسومين بسيمتها المنسوبين بنسبتها يعرضون عنها او يلوون السنتهم بالطعن عليها والتزهيد فيها او يطوون في نفوسهم موادة من يحادها ويصد عن سبيلها او يمدون ايديهم الاثيمة لاعانته على ازالة اسمها ومحو رسمها هذا هو المحزن حقا وهذا هو الذي يحز الفؤاد ويقطع القلب .

ايها الاخوان ايها الاباء :

أقسم قسما صادقا اننا اذا لم نكن للغتنا درعا ومجنا وندفع عنها بكل ما استطعنا عوادي الدهر وخفايا المكر. ولم نتقاسم على المحاماة دونها والنضال عنها فانها ستضيع في السنتنا ثم تضيع آثارها في أفئدتنا ويضيع بضياعها كتاب الله ودين الاسلام وتاريخ السلف وهؤلاء كل ما نملك في هذه الحياة ، فاعيذكم ان تتكلوا أو تتواكلوا وأدعوكم الى معاضدة هذه الطائفة البارة باللغة ودينها وان تكونوا لهم اعوانا . فيما جعلكم الله فيه اخوانا . وان تعتمدوا بعد الله على انفسكم في احياء لغتكم ودينكم وتاريخكم ومن اغتنم الفرص لم يتجرع الغصص .

ايها الاخوان :

ان التاسى شرط من شروط ديننا ، واني ادعوكم ان تتأسوا في خدمة العربية والاسلام باستاذ الجزائر وفخرها على الاقطار الاستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس وتتبعوا خطواته الثابتة في بناء هذه النهضة المباركة وغرس هذا النشء الطاهر.

ان الامم تعد احتفالكم لتكريمه شكرا على النعمة وقياما بالواجب وعرفانا للجميل وتزنه بهذا الميزان وتنظر بعد ذلك وبعد انقضاء هذا اليوم الى ما هو اكثر فائدة واعم عائدة . وهو قتدؤكم به واقتفاؤكم لآثاره . وتعهدكم

خطبة الاستاذ البشير الريغى السطيفي

(وهذا الاستاذ ايضا شاب من تلامذة الاستاذ بن باديس تخرج على يديه وخرج الى ميدان العمل كما هي العادة فى تلاميذته كلهم . وهو الان يعمر مركزا من مراكز جمعية العلماء يبث فى الناشئة العلم الصحيح . وقد التى كلمته الاتية في الاحتفال ممثلا لطبقته .

ونصها:

الحمد لله الذي أمد العالم الانساني بالعقل وكمله بالادراك وهداه الصراط المستقيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جمع الشتات . واحيا الموات وكون بالقرآن من الفوضى نظاما . ومن الاوزاع المتفرقة أمة واحدة . ومن البداوة الساذجة مدنية زاخرة . ومن القفر الجديب عمرانا مخضر الجنبات . ومن الجهل

لغرسه .

وان ختم التفسير بلادس سيسجله التاريخ معجزة لوطنكم ومأثرة لجيلكم فلنحرص على ان يكون يومنا خيرا من امسنا وغدنا مربيا فى الصالحات على يومنا

ونسال الله تعالى ان يجعل هذا الختم فاتحة لعهد جديد تتعاقب فيه الصالحات وتكفر فيه السيئات وان يبارك فى عمر الاستاذ حتى يجني ثمار غرسه . وينسنى براحة يومه . نصب أمسه .

ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير . عيسى الدراجي

والامية علما وحكمة . وعلى آله واصحابه دعاة الحق والسنة الصدق ورثة دينه الامناء وخدمة دينه الاوفياء

ايها لاخوان الاعزاء :

يلذلي ان احدثكم وان ينال حديثي منكم قبولا ورضى . ويطمئن قلبي اذا أنا احسست من نفسي تحري الواقع والصواب فان الموقف رهيب والموضوع خطير والاحاطة باطرافه غاية بعيدة المنال . وان كانت القاعدة العملية التي ربينا عليها انفسنا — ان نستسهل الصعاب ونقتحم العقاب . حتى نفوز بالرغاب .

ايها الاخوان :

من المدركات الاولية ان لكل امة قانونا تبني حياتها كلها عليه وتديرشؤونها كلها على قطبه . وتجمع عليه شملها . وتصرف على احكامه قضاياها . وتستمد منه القوة على الزائغ اذا زاغ والضال اذا ضل وترجع اليه فى كل ما ينجم بين افرادها من خلاف وهي — لذلك — تتعهده بالعناية . وتحوطه بالرعاية . حرصا على قواعده ان تنخرم . وعلى عراه ان تنفصم وعلى اصوله ان تنهار . اذ كان ملاك امرها راجعا اليه . وقوام اجتماعها مبنيا عليه . فهي ترى ان حياطته حياطة لحياتها ووجودها . والمحافظة عليه محافظة على كيانها . كما ان الوقوف عند حدوده حفظ لحدودها .

والامة العربية المسلمة ايها الاخوان كسائر الامم لها قانون تعتمد عليه وترجع اليه وتبنى حياتها الفردية والاجتماعية على اساسه . وتسير على شعاع هديه وتحكمه في الجليل والحقير من شؤونه وتزن بميزانه حتى هجسات الانفس ونجوى الضمائر . وهو يفوق جميع القوانين بانه وضع الاهي سماوي معصوم من الخطإ مبرأ من زلل العقول . وهو يحمل من الصبغة السماوية انه صالح لجميع امكنة الارض وازمنتها واجيالها وطبائعها . ومن الحصانة السماوية انه متعاص عن تغيرات العقول وتبدلات الافكار . مهيمن على الاوضاع البشرية ومن الفيض القدسى انه واف

بالصالح مهما تشعبت . محيط بالنوازع النفسية مهما اضطربت . كافل لحقوق الافراد وان تعاندت .

هذا القانون هو الاسلام وكتابه الحكيم هو القرءان، ورسوله الامين هو محمد عليه السلام . ولسانه المبين هو لسان العرب ؛ اصول متشابكة واسس ملتحمة يجمعها الايمان بها والعمل بما جاء عنها والذب عن حماها وتربطنا ببعضنا عقائدها واخلاقها وشرائعها ويحثنا على التمسك بها اسلاف لنا صالحون تمسكوا بها فسادوا وسعدوا . وشادوا وشيدوا ثم علموا به الامم وارشدوا . واحسنوا واسعدوا .

ايها الاخوان

اذا كان القرءان هو اساس هذا القانون الالهي الاسلامي الذي يجب ان نسير عليه ونستند اليه وهو الكفيل بهدايتنا الى الصراط المستقيم والمنهج القويم فى الحياتين الفانية والباقية . — فالواجب ان نعتقد ان اشرف انسان واكمل مرموق بعين الاكبار والاحترام واجدر مخلوق بالاشادة بذكره وترديد اسمه في المحافل وتلقينه للولدان . — هو من جعل نفسه وقفا خالدا على القرءان يبين مقاصده ويكشف عن اسراره ويجلى حكمه واحكامه ويدعو الناس الى الرجوع اليه والالتفاف حوله وجمع القلوب عليه والاهتداء بانواره . فهذا هو المجاهد في سبيل الله الذاب عن دينه الحقيق بالثناء الجم والذكر الجميل الجدير بوصف الخيرية بشهادة من انزل عليه اذ قال كما فى الصحيحين : خيركم من تعلم القرءان وعلمه الناس .

واذا كان من مقتضى الحكمة ان توضع الاشياء فى مواضعها مقدرة بمقاديرها وتعطى الاسماء لمسمياتها منزلة في منازلها . فان الذى يجب ان تخلع عليه هذه الحلل الضافية من الاوصاف والالقاب على سبيل الاستحقاق والاصالة والاولية . هو هذا الرجل القرآنى خلقا وأدبا وروحا ودينا وعقيدة . شيخنا ـ وما اشرفها من اضافة ـ عبد الحميد بن باديس استاذ الشمال الافريقى وروح النهضة الجزائرية وقائد الحركة

العلمية وباعثها من مرقدها ، ذلك الرجل الفرد الذى ظل ربع قرن يجاهد بالقرآن ويجالد المبتدعين بالقرآن ويشرب النفوس حب القرآن وفهم القرآن والتخلق بأخلاق القرآن وبناء الحياة كلها على القرآن . يدعو الى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة يلين بالقرآن ويشتد بالقرآن ، يخالق الناس بالخلق الحسن . يدعو الى الهدى ودين الحق ، ينير العقول والافكار . يطهر العقائد والقلوب ، وقد تدرع الى هذا كله بأخلاق القرآن من صبر وثبات وعزم واخلاص واقدام وايمان قوي وعمل متواصل ونفس كبيرة ترى الحق فوق كل شيء ولا ترى الباطل شيئا ، واذا كانت المشاهدة أقوى دليل فانظروا بعين الانصاف ووازنوا . ودققوا وقارنوا فمعظمكم ادرك بدء الحركة وادرك ما كانت الجزائر عليه من جمود وخمود وركود ووهم مستحكم وحقيقة منبوذة وبعد عن القرآن ومجافاة لحقائقه وجهل لمقاصده وعجمة صادة عن فهمه . سادة لابواب تدبره . وكيف كان سوق التدجيل بالدين نافقا وعلم التحريف فيه خافقا ، — ثم ادرك يومنا هذا ورأى ان الفرقان بين العهدين هو هذه المدارس المشيدة والدروس المفيدة والهمم المتوثبة والالسنة المنطلقة بالدعوة الى الله والى كتاب الله . وان تلك العهود صفحات من التاريخ مظلمة سوداء . وان هذا العهد صفحة منه نيرة بيضاء وخذوا في التعليل ما شئتم فانكم لا تجدون الا علتين مختلفتين بالسلب والايجاب . الاولى قعود علماء تلك العهود عن واجبهم وجهلهم به ومجاراتهم للمبطلين يبتغون لديهم الزلفى والخبز . ويشترون منهم الذل بالعز ، والثانية قيام علماء هذا العهد ونهوضهم بالدعوة الى الله والى كتابه وابتغاؤهم الوسيلة الى الله بخدمة كتابه وجهرهم بكلمة الحق على ثقلها ومرارة مذاقها

وان ارفعهم صوتا وابعدهم صيتا واقواهم لهجة واصدقهم حملة واوسعهم فى ميدان العمل خطوة لامامنا واستاذنا عبد الحميد بن باديس وان كان لكل من اخوانه الابرار حظه الاوفر وسهمه الاوفى في بناء نهضتنا العلمية الدينية المباركة جزاهم الله عن دينهم وامتهم خيرا .

خطبة الشيخ
محمد الحسن الورتلاني

(صاحب هذه الكلمة من ابنائنا النجباء الذين لازالوا فى رحاب الجامع الاخضر وهو يتمرن على اساليب التعليم بفرع من فروع جمعية التربية والتعليم . وقد القى هذه الكلمة فى الاحتفال معبرا عن عواطفه وعواطف اخوانه وزملائه فى الجامع الاخضر)

ونص كلمته :

الحمد لله على ءالائه . والشكر له على نعمائه . والصلاة والسلام على اشرف رسله وانبيائه . وعلى ءاله واتباعه واوليائه .

ايها الاخوان :

اننى باسمى واسم فرع جمعية التربية والتعليم ببانتة اقول فى هذا الاحتفال العظيم لأستاذى وابي . بل استاذ الجزائر كلها وابيها : سلام عليك ايها الاستاذ الجليل بما جاهدت فى سبيل العلم والدين والعربية . سلام عليك بما غالبت فى سبيل الثلاثة من الصعاب . وما قاسيت من الاتعاب . سلام عليك بما صبرت وصابرت

ايها الاخوان

سيشهد التاريخ ان يوم ختم القرءان بقسنطينة يوم مشهود . وان يوم احتفال الامة بعالمها يوم من مفاخرها معدود . وحسبكم شهادة التاريخ بعد شهادة الله . والله خير الشاهدين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته — البشير السطيفي

وبما سل به قلمك فى تجلية حقائق الدين . وبما نفثه لسانك من كلم كانت نجوما للمهتدين . ورجوما على المعتدين . سلام عليك بما خدمت الامة الجزائرية فى ابنائها الذين هم ذخيرة مستقبلها . وفي دينها الذى هو مناط فخرها . وفي لغتها التى هى ترجمان مجدها فشكرا لك منها يعبر عنه هذا الاحتفال . وهنيئا لك ما بنيت من الأعمال وربيت من الرجال وجزاك الله احسن ما يجزى به عباده الصالحين .

ايها الاستاذ : لقد غرست فى الجزائر غرسا وتعهدته بالسقي والتشمير حتى اينع واثمر واورق وأزهر وربت ظلاله . وقد اصبح الشعب الجزائرى كله يقطف الزهر ويجنى الثمر . ويتفيأ الظلال فلا عجب اذا رأيناه فى هذا الاحتفال ممثلا فى سراته وعلمائه ، وكتابه ، وخطبائه . يوفيك حظك من الاعتبار . ويكافئك بما انت اهله من التقدير .

ايها الاستاذ : لقد ختمت تفسير القرءان واوقفت هذه الامة المحمدية على اسراره ومغازيه وحكمه المطوية تحت معانيه واستخرجت لها منه دفائن الهداية . وجلوت لها منه مطلع النور . وقدمت لها منه الدواء الشافى لأمراض النفوس . والغذاء الكافى لحاجة الارواح . فهل تظن هذه الامة ان احدا من ابنائها خدمها بمثل ما خدمت ، اوقدم لها مثل ما قدمت ؟

ايها الاستاذ : ان اخشى ما يخشاه المشفقون على هذه الامة انه ليس فيها ثان لعبد الحميد فى اعماله . ولهذا فاننا اشبالك ربيتنا لى ان نحيا للحق ونموت في الحق وان نأتم بالقرءان ونتخلق باخلاقك ، فاذا لم نبلغ درجتك فى علمك وءارائك وافكارك وبطولتك وتضحيتك وصبرك فانا على ءاثارك مقتدون .

كلل الله رأسك بتاج الرضى من هذه الامة الكريمة ووفقها لعرفان قدرك وكتب اسمك في سجل الخالدين .

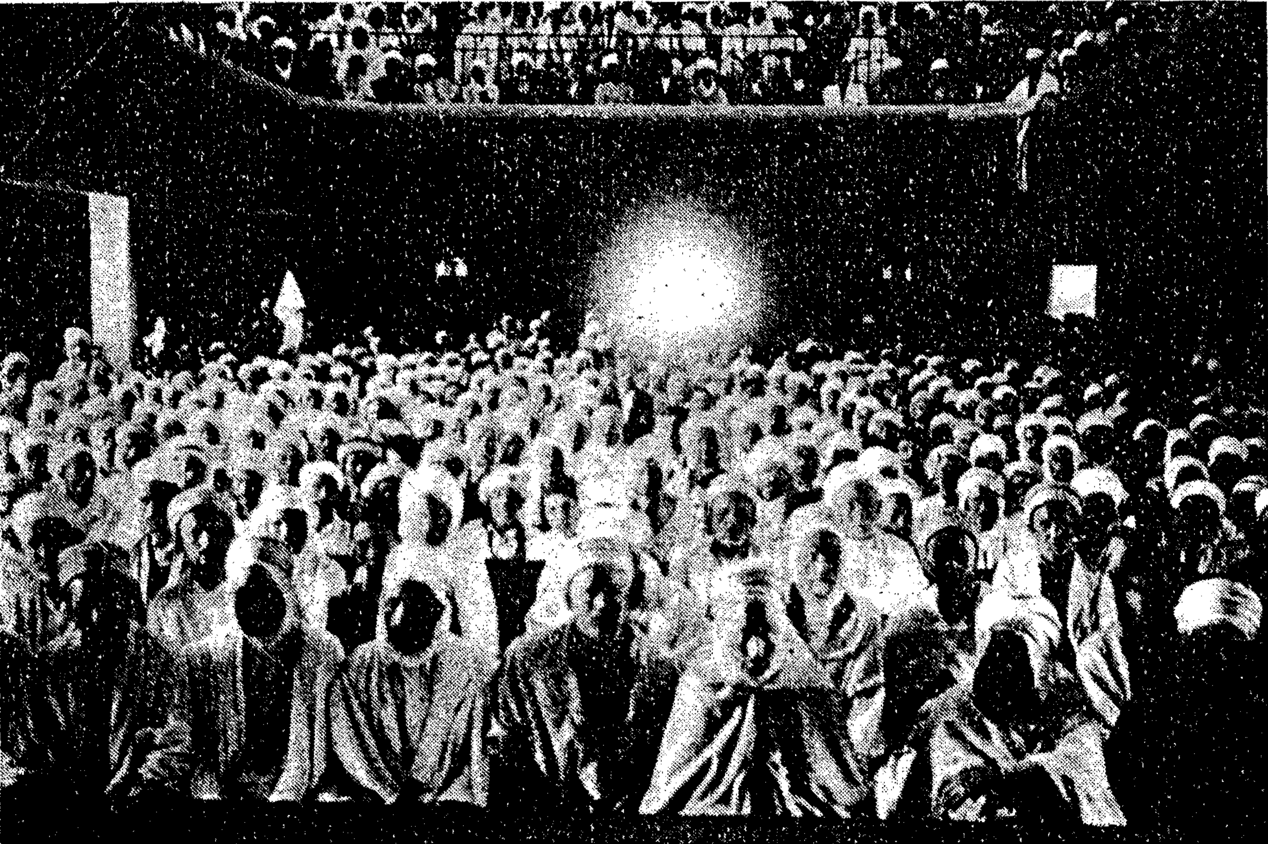
اخواني التلامذة . واليكم اسوق الحديث انتم ثمار هذه الحدائق . رواكم نميرها وغذتكم تربتها وجوها وهواؤها. وانتم احق الناس بالوفاء والشكر والاقرار بالجميل واذا كانت الازهار تشكر بلسان عطرها الفواح . وعبيرها النفاح . فالشكر المنتظر منكم هو اجل من ذلك . هو اعمالكم في خدمة القرءان والاسلام والعربية وخدمة الامة الجزائرية بها . فلمثل هذا كان الاستاذ — ابقاه الله — يحسيكم الحسا . ويواصل في تربيتكم الصباح بالمساء .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين .

والسلام عليكم ورحمة .

محمد الحسن الورتلانى

معلم بمدرسة التربية والتعليم — باتنة



وفود الوطن فى وسط قاعة الاحتفال

خطبة التلميذ احمد بن عبد الحفيظ السالمي

(هذا الخطيب تلميذ نجيب من المباشرين الآن وهو واحد من تلك البعثات التى يوالى تجهيزها الى قسنطينة — جبل او رأس الاشم وسفوحه الناضرة وفيها من شممه مخايل . وعليها من ثباته دلائل .)

قال :

الحمد لله الذى احيا القلوب بالذكر الحكيم . بعد ان اماتتها الغفلة وران عليها النسيان ، والصلاة والسلام على من خصه بالنور والبيان والحق والبرهان . وانزله على قلبه . صدقا لما بين يديه جامعا للبينات والهدى والفرقان . وعلى حزبه المفلحين الصالحين المصلحين . وعلى ءاله واصحابه والتابعين .

ثم السلام عليكم ايها — السادة — ماسمعتم داعى الله فاجبتم . وما نادى منادى الخير والحق فلبيتم .

اما بعد — ايها الاخوة الكرام . فاننى تلميذ لهذا الاستاذ العظيم . ومنسوب الى الجامع الاخضر لم انجاوز من عمر التلمذة سنتين وارجو ان يصل الله اسبابها ويسهل وسائلها ، واننى في هذا الحفل ارفع صوتى بحمد الله على هذه النعمة العظيمة التى وفقنا اليها بعد ان كنا من ضحايا الاهمال والجهل والتخريف .

اننى اعلن شكرى لله واكرره واحمد الله لاخوانى تلامذة الجامع الاخضر الذين اربى عددهم في هذه السنة على ستين وثلاثمائة فباسمهم جميعا ارحب بكم

ايها الوافدون واشكركم ايها المستقبلون . واحيى فيكم جميعا الروح العربية التى تحفز صاحبها الى الامام . على انكم جئتم لتبادل المحبة والاخاء وتمتين اواصر المودة بالمشاركة في هذه الحفلة عروس الحفلات جميعها .

واحييكم ما تناصرتم وتعاونتم على البر والتقوى وسعيتم في الصالح العام الذى يعود على المجتمع بالخير العظيم والنفع العميم .

ايها السادة ايها الآباء :

لقد تعلمون ان هذه الجزائر المسلمة لكم ولا بنائكم ولأحفادكم الى يوم القيامة عربية مسلمة . وان لها تاريخا يذكر ولا ينكر وكم انبتت من نوابغ وابطال يذبون عن حماها ويدفعون الاذى عن دينها ولغتها ويبنون اسسها على تقوى من الله ورضوان ولكنهم بعد ما استحكم امرها وامر هم ناموا عنها نومة الغافل الامن وظنوا ان لن يطرق حماها طارق ولكن — وللاسف ملء الجوانح كانت عاقبة تلك الغفلة وبالا عليها وعليهم فقد دخلت من اقطارها . وهاجمت الضلالات عقائدها وملكت العجمة السنتها وابتلاها الله جزاء الغفلة بمتحكم يقتل الافكار ويخدر العقول . ومخرف دجال يفسد الدين ليجمع الدنيا . ويضعف الحق ليقوى الباطل ويشترى بعهد الله وايمانه ثمنا قليلا ، وينصر الاستبداد على ما امر الله به من العدل والاحسان ، ويؤثر العاجلة على الباقية فاجتمع الكيد والصيد على هذه الامة المسكينة حتى وصلت الى ما تشاهدونه .

وقد مد هذا الليل البهيم على الجزائر صلبه واردف اعجازه . وتتابعت ويلاته وظلماته حتى ظن العقلاء الذين فيهم بقية احساس انه ليس بمنجل . وان ما حاكه المبطلون والدجالون على العقول والافكار لا يمكن نقضه . وما علموا ان المياه ترجع — ولا بد — الى مجاريها وان الاسلام والعربية مكتوب لهم البقاء وان هذه الدار دار اسلام ودار عربية وان الله ينصرهما على حين اليأس وقد حقق الله ذلك فقيض للاسلام

والعربية بهذا الرجل النادر الوجود الشيخ عبد الحميد بن باديس واطلعه على الجزائر شمسا فياضة الشعاع ساطعة النور تمحو ظلمات ذلك الليل الأليل .

هذا الاستاذ مربي الارواح . وطبيب الجراح عالج بعلمه وحكمته كل ما كانت تشكو منه الجزائر من امراضها . فاما من كان يحس بالألم فقد تدارك رمقه ونجا بنفسه وكان لدعوة هذا الطبيب من المستجيبين . واما من توهم الصحة وهو عليل وغالط نفسه في الحقائق اوغالط الناس فهو اسير مرائه . ورهين افترائه حتى تشرق الهداية على قلبه او يكون من الهالكين ، وما ضر الاستاذ ولا غيره من دعاة الحق . ولكن كان لنفسه من الضارين .

يا ابناء العروبة والاسلام فى الجزائر . ان الجزائر تستغيث بكم لتردوا عليها مجدها وتحيوا لها تالد عزها وتحتج عليكم بهذا الابن البار الذى قام وحده باحياء ما قتله الجبن والياس والجهل والجمود والخرافات من الأخلاق الشريفة فى نفوس الجزائريين

وتناديكم ان من البر بها ان تعاضدوه وتكونوا سواعده القوية . فتبرروا عمله وتحققوا امله . وما عمله الا احياء الاسلام والعربية باحياء كتاب الله وسنة رسوله وما امله الا قتل الجهل وازدهار هذا الوطن بالعلم فى دائرة الاسلام والعربية .

قد اتى على هذا الاستاذ الجليل خمس وعشرون سنة وهو يعمل لرفعة هذا الشعب ونهوضه الى الحياة الحقيقية التى هى وليدة علومنا التى اقبرها الجهل بها . ووليدة ديننا الذى غطت عليه الخرافات والاباطيل . ولولا الجهود التى يبذلها الاستاذ واخوانه العاملون المخلصون في الكشف عن تلك الخرافات ومحوها من الوجود لأصبحت دينا عاما .

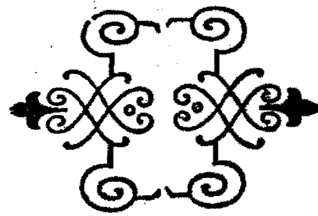
وقد لاقى الاستاذ فى هذه المدة من الصعوبات والعوائق والعراقيل ما لاقى بصبر واحتسب واستمد المعونة من الله فامده بجمعية العلماء التى هى الدواء النافع لهذه الامة

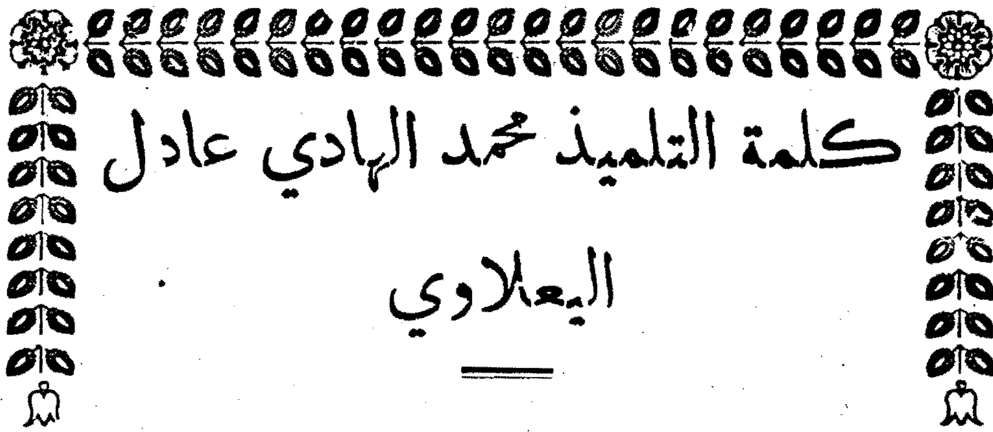
ايها السادة :

ان الواجب المقضى علينا هو ان نعضد هذه الجمعية وان نكثر سوادها وان نعزز جانبها بكل ما اوتينا من قوة مادية اومعنوية ، وان نسعى في طلب العلم من كل وجه فذلك كل ما يرضى جمعيتنا وان نبذل كل جهد في تعميمه و نشره ولا نعبأ بما يعترضنا في سبيله ،

ان هذه الجمعية جمعية الامة كلها تعمل لخيرها بلا فرق و بلا تمييز ومن زعم انها جمعية طائفة او شخص فقد كذب على الحقيقة واعظم الفرية على الواقع وهو اما جاهل بحقيقتها فلا يعول على رأيه واما مغرض اعماه الهوى و نسأل الله له الهداية والتوفيق .

أريس احمد بن عبد الحفيظ السالمى





كلمة التلميذ محمد الهادي عادل اليعلاوي

(هذا التلميذ من الطبقة العاكفة على طلب العلم الان بالجامع . وهو ممن يرجى منهم ان يحيوا المجد العلمي الزاهر بجبل بني يعلى. وقد حبسه العذر عن حضور الاحتفال فارسل بكلمته معبرة عن شعوره الطاهر وممثلة لطبقته فى التحصيل وآثرناها بالنشر لا مراعاة لشخصه ولكن اكراما للشعور الذي يشاركه فيه اخوانه كلهم)

ونص الكلمة

كانت الامة العربية قبل الاسلام في اقصى دركات الفوضى اعتقادا وآدابا واخلاقا واجتماعا وسياسة . فالشرك فاش والوثنية سائدة . والاوهام غالبة . والوأد معدود من موجبات الفخر . والتقتيل بين القبائل مستحر . وسبي النساء والاطفال مستمر . ونظام البيوت قائم على اوهن اساس .

ولما اشتدت حاجة الامة الى وازع يزعها وقانون يدير سياستها على نظام . وشريعة تقيمها على حدود معقولة . ونور يزيل الغشاوة على القلوب والعقول اقتضت حكمة الله ارسال محمد صلى الله عليه وسلم منهم واليهم بهذه الشريعة الجامعة وهذا النور الهادي وكان ذلك كله .

جاءها الله بالقرآن فوحدها بعد الفرقة وجمعها بعد الشتات ووصل اجزاءها بعد القطيعة . وحرر عقولها من سيطرة الاوهام ونفوسها واجسامها من الخضوع والعبودية للالهة الباطلة .

فاصبحت بهذا القرآن سيدة العالم اخلاقا وآدابا وقوة مادية ومعنوية واستولت به على معظم الكون في مدة قصيرة

على هذا الاساس التاريخي الحق بنى استاذنا الجليل عبد الحميد بن باديس حين نظر من ربع قرن مضى الى حال الامة الجزائرية المسلمة ووازن بين ماضيها وحاضرها وحدثته نفسه الكريمة بان يقف عمره المبارك على خدمتها. وفكر في الوسائل لذلك العمل فرأى — حفظه الله — ان دواء هذه الامة في القرآن. فشرع في تفسيره بالجامع الاخضر على طريقة السلف الصالح ودأب على ذلك لا يثنى عزمه شغب مشاغب ولا تعصب متعصب وقد فعل ذلك التفسير فعله فى النفوس المستعدة له ووجدت فيه العلاج النافع وتبدلت حال الامة فى عقائدها واخلاقها من سيء الى حسن الى أحسن.

وها هو ذلك العمل العظيم يتم فى ربع قرن وها هي الامة الجزائرية تعرف قدر العامل وقيمة العمل فترفع مكانة العامل بهذا الاحتفال التاريخي العظيم وتفد عليه من اقاصي القطر رافعة صوتها بتمجيد الاستاذ معترفة له بجلائل اعماله مقلدة أياه زعامتها الدينية والعلمية هاتفة بحياته شاكرة لله على تمام نعمة ختم التفسير. رافعة أكف الضراعة اليه ان يمد فى عمر الاستاذ حتى يواصل اعماله فى خدمتها والرقي بها الى معارج العز ووصل حاضرها بماضيها واعادة مجد ابائها الاولين واسلافها الصالحين.

فباسمي وباسم اخواني التلامذة اهنيء استاذنا الجليل بالثمار التي اينعت من غرسه. واهنيء الامة الجزائرية بهذه الخطوة الواسعة التي خطتها فى العلم والعربية. حيا الله الاستاذ بن باديس حيا الله العربية أحيا الله لاسلام احيا الله به الامة الجزائرية

بني يعلى : محمد الهادي عادل

كلمة التلميذ محمد المنصوري الغسيرى



(وهذا تلميذ ءاخر من الطبقة المباشرة للتعلم في الجامع الاخضر ومن شباب البعثات الجبلية المجاهدة في سبيل العلم والدين والعربية . الدالة مخائلها على انه سيكون لها شان في خدمة الجزائر من ناحية دينها ولغتها . وحيا الله الشباب العامل)

ونص الكلمة :

الحمد لله على نعمه والشكر له على فضله وكرمه . والصلاة والسلام على اشرف انبيائه وسيد اصفيائه . وعلى ءاله وصحابته واوليائه .

ايها الاخوة الكرام . ايها الوافدون على قسنطينة لحضور ختم التفسير . وشهود هذا الاحتفال البهيج ذلك الختم قل نظيره في تاريخنا وهذا الاحتفال العظيم بمعناه ومغزاه والزاهر بحضوركم فيه — حياكم الله وبياكم وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ايها الوافدون الكرام : لقد بعثتم في نفوس ابناء المسلمين روحا اسلامية جديدة قوية . ولولا الروح الاسلامية فينا ما كان احتفال امس بختم التفسير . واحتفال اليوم لتكريم الاستاذ الكبير .

اعز الله بكم الاسلام ولغة الاسلام من بعد ما خالهما اقوام على وشك الزوال . وارجف اقوام بزوالهما بالفعل فجئتم اليوم تفندون بصنيعكم هذا الحسبان وتدحضون هذا الظن الخاطئ وتقيمون الدليل الملموس على انكم ابناء هذا الدين وهذه اللغة وانكم انصارها تبذلون في سبيلهما كل قوة مادية اومعنوية وترفعون

بهما شأن امتكم العزيز ، وتبتغون لها الفلاح والسعادة من طريقهما. وترجعون باخلاق هذا الشعب الى اخلاق القرءان حتى يتبوأ مكانه اللائق به بين الامم

واصلتم بين الجهود التي يبذلها العلماء العاملون لنهضة هذه الامة وبين جهودكم من نصرهم وتاييدهم فالتقت جهودهم وجهودكم على تفهيم حقائق هذا الدين. وتعليم اصول هذه اللغة علما منكم ان السعادة التي تطلبها هذه الامة لاتنالها الامن هذه الطريق . وافهمتم المواطنين الاجانب باعمالكم وثباتكم ان هذه الحركة كلها حرب على الجهل والامية وما ينشأ عنهما وكل متمدن فهو عدو لهاذين .

ايها الاخوان الوافدون : انتم همزة الوصل بين العلماء العاملين وبين سواد الامة الذي لم تزل قواه موزعة بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال فأحسنوا الوساطة وأحكموا التبليغ واعملوا لارجاع المبطل الى الحق والضال الى الهداية وقولوا للجميع: هاهي شرعة القرءان تسع الجميع ، وهاهو الحبل المتين فاعتصموا به ، وهاهي حجة الله البالغة قائمة على الجميع فارجعوا اليه وادخلوا في حماه لا من . واتبعوا سبيله الجامعة ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله .

حضرة الاساتذة الكرام .

نشهد انكم اسديتم للشعب الجزائري نصائح غالية وقدمتم لابنائه اعمالا عظيمة . لا ينكر فضلكم فيها الامكابر اوضال ضرب بينه وبين الهداية الاسلامية بسور . اما المسلم المهتدى الذى رباه دينه على عرفان الجميل لأهله فهو يشهد بالفضل لأهله وهو اليوم اعظم الناس فرحا بأعمالكم . ومفاخرة بكم واعترافا بفضلكم .

انا شاب مسلم من ابنائكم كتب له ان يتتلمذ للاستاذ الجليل عبد الحميد بن باديس خمس سنوات كوامل وان يحضر من دروس التفسير غالب سور الربع الاخير من القرءان الكريم ، وان يكون حظه من العربية ان صار يعبر عما فى ضميره بلسان عربي ويكتب افكاره بقلم عربي . وحظه من الاحساس ان صار يحس احساس

امته لا احساسه الشخصي ويدرك حقيقة حالتها وطرق علاجها .

وبهذه الروح الشريفة التي اكتسبتها من ديني ولغتي وقومي اقف بينكم اليوم واعلن فيكم باسمى وباسم زملاءي في الطلب وعددهم فى هذه السنة خمسة وستون وثلاثمئة — اننا ما عرفنا قيمة ديننا ولغتنا وقومنا وتاريخنا الا من دروس الاستاذ ومحاضرات اخوانه الابرار وخطب الخطباء اللسن وكتابات الكتاب الكرام منهم واعانة الامة الكريمة لنا على تدويم دراستنا بتشجيعاتها الأدبية والمالية .

فقهنا اننا امة مسلمة عربية دليلها القرءان والسنة النبوية الغراء وهدي سلفها الماجد . وخلقها محبة النفع لجميع الناس وزرع الخير بين جميع افراد البشر ونشر المحبة بينهم جميعا

فقهنا ان الاسلام دين الله الخالد شرعه الله ليعز به عباده المستضعفين في الارض ويسوى به بين طبقات الناس بالعدل والاحسان لتتم لهم سعادة الدارين وعز الحياتين .

فقهنا من اوامر الاسلام ان لا نسعى في الاضرار باحد ولا فى اذلاله اذا مكنتنا القدرة من ذلك بل نعامل الناس كلهم بالاحسان ، وان لا نبغض احدا لشخصه اولجنسه وانما نبغض الشر من أية ناحية جاء ونمقت الظلم من اي جو هبت ريحه وان نحترم الإجانب عن ديننا ما احترمونا ونقدر شعورهم ما قدروا شعورنا . ونأخذ كل ما هو نافع عند الامم لحياتنا مع الاحتفاظ التام والتمسك الشديد بجميع مقوماتنا ثم لا نخشى بعد ذلك لومة لائم اذا نحن صرفنا جهدنا في تعلم لغتنا وديننا وتاريخنا علما منا ان الامة بدون هذه المقومات معدومة .

وفقهنا بعد هذا كله ان هذه الاعمال الجليلة التى يقوم بها علماؤنا انما هى ملقاة بعدهم على كواهلنا ، واننا خلفاؤهم وورثتهم فعظمت بذلك علينا الامانة وثقل العهد وها نحن مستعدون لحمل هذه الامانة ؟ ذلك متوقف على عزائمنا وهممكم بعد عون الله .

ان مستقبلنا لجليل ولكن متوقف على عزائم قوية وهمم بعيدة فى طلب المعالى ونفوس شابة تتربى على هذه الروح القرءانية الكاملة وعقائد راسخة فى الحق . وبصائر نيرة فيه . وكل هذا ميسور لمن حكم القرءان في نفسه ،

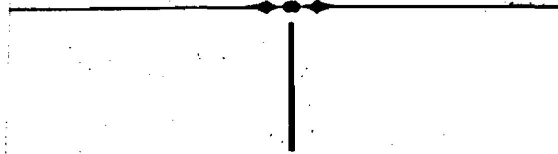
يا قوم قد وعر الطريق امامكم * فاذا عزمتم تسهل الاوعار

ايها السادة :

ان ابناءكم تلامذة الجامع الاخضر فى هذه السنة يمثلون اغلب مدن القطر الجزائري وقراه . وان وفودكم في احتفال اليوم تمثل كذلك اغلب مدن القطر وقراه فاسمحوا لى ان هذه اعظم بشرى لأبنائكم برضى الامة كلها عنهم واغتباطها بعملهم واهتمامها بشانهم ، وان هذا الاتفاق الغريب . يحدث فى نفس كل واحد منا شعورا بانه ليس بغريب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الجامع الاخضر   محمد المنصوري الغسيري



خطبة الاستاذ ابو بكر الاغواطي

(من تلامذة الاستاذ ابن باديس طائفة اصبحت اليوم في طليعة العلماء الكبار. واشرقت كالنجوم اللامعة فى سماء الجزائر، وانتهت في النضوج العلمى الى درجة عالية. وحسبك ان مؤرخ الجزائر المدقق واحد افذاذ كتابها الاستاذ مبارك الميلى احد افراد هذه الطائفة اواوحدها. وقد نفع الله بعلم هؤلاء في الجهات التى خدموها بعلمهم وتخرج على ايديهم وعلى مشربهم تلامذة اصبحوا اليوم من ابناء الحركة العلمية ومنهم الاستاذ ابو بكر الاغواطى، شاب اخذ عن الاستاذ الميلى ثم نزح باشارته الى تونس في بعثة الى جامع الزيتونة. وهو الان يشغل مركزا عمليا من مراكز جمعية العلماء لايقوم به الا المحنكون. وقد حضر الاحتفال طائفة من هذه الطبقة (تلاميذ التلاميذ) وألقى الاستاذ ابو بكر هذه الكلمة ممثلا لهم متكلما باسمهم لعدم اتساع الوقت لجميعهم)

ونص الكلمة

ايها السادة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هكذا: حتى على عالم الاعمال، بتعاقب الليل والنهار ليبليا ما جد منها وليسفيا عليها من رمال الاهمال والنسيان ركاما تغطى كبيرها وصغيرها، ولكن هل تستطيع ايضا ان تغطى جليلها وخطيرها؟

ان الفلك الدوار. وحارسيه الليل والنهار. لا تستطيع ان تغطى الا على مايستحق فى سنة الله التغطية. فاما الاعمال العتيدة. فهى كالاعلام المشيدة. تلح عليها العاصفات بسوافيها. فلا تضمرها ولا تخفيها. كما ارتدت سافيات الرمل وراسمات القطر حسرى. عن اهرام الجيزة وايوان كسرى.

ان فى فضاء التاريخ اعلاما من الحق والنور لم يدركها الفناء بطمس . ولم يغبرها الصفاء فى رمس ، وما هى الا اعمال رجال ماهم بن مخلصين . وضعوها لهداية الضالين وارشاد الحائرين .

والمحتفى به اليوم استاذنا واستاذ اساتذتنا عبد الحميد بن باديس. هو من هؤلاء الرجال الذين يعملون الاعمال . ويبنون الرجال ، ويحيون الاجيال ، فلا يقوى الدهر على اطفاء ما اشعلوا ، واخفاء ما عملوا بحال.

ايها السادة :

ان فى الحكم بان هذا الاحتفال اقيم لتكريم الاستاذ ضربا من التوسع والتساهل فى التعبير فان آثار الاستاذ قائمة بهذا الحق . دافعة فى صدر كل قائل ، سادة للطريق على كل محاول . وان الاستاذ لغني عن تمجيد يوم بتمجيد الدهر . وعن تكريم الناس بتكريم الله .

ان الاستاذ — حفظه الله — مطمئن كل الاطمئنان الى جدواه على أمته والى اخلاصه فى خدمتها والى تقدير هذه الامة لاعماله وثقتها باخلاصه وليس هو فى انفاق المتلاحق من نشاطه في خير هذه الامة — بمحتاج الى تنشيط باحتفاء ، أوتشجيع بثناء . او استدرار بخطب وقصائد .

الا ان المعنى السامي لهذا الاحتفال . اللائق بجلال الاستاذ وجلال الجيل الذي رباه على التسامي فى المقاصد — هو ان نوجه الانظار الزائغة عن الهدى الى معالم الاستاذ التي نصبها فى طريق القافلة الجزائرية المسلمة لتسير على هداها الى الغاية الرشيدة في غير تعريج ولا التواء .

وما ضرني — وقد قلت بما هو اولى — لو قلت بما هو اعلى . وهو ان هذا الاحتفال — اذا جاوزنا الاسم والاصطلاح وبحثنا عن الحقيقة المكتنة في النفس — هو اعلان فرح من هذه القافلة الضالة عن سواء السبيل بتشييد تلك المعالم فى طريقها

بعد ان ضربت فى التيه واضطربت بها المجاهل الطامسة ، واين حظ الاستاذ في هذا ؟ ان حظ الامة هو كل شيء فيه

ايها السادة :

ان الرجال الذين يعملون للواجب ويقولون للحق فى غير صخب ولا ضوضاء رجال سمت نفوسهم عن معاني المكافئات التى نتعارفها وارتمت بفهم معنى الواجب الى معنى ءاخر من الجزاء ، وهو الجزاء الالهي .

واسنا ننكر بهذا مزية هذه الاحتفالات — احتفالات الامم برجالاتها فهي دليل الحيوية فيها ومنشأ التفاؤل فى مستقبلها ومعرض لتباري الهمم في طرق التأسيس وما نريد الا ان نقرر ما نعتقد انه يتوارى عن اذهان الكثير منا وراء زخرفة الاعمال والاقوال فى حين اننا نريد ان تظهر هذه المعانى الجليلة فى جلاء ووضوح وان في اظهار هذه المعانى التى تطغى عليها الاصطلاحات ارشادا للنشء المتوثب ان يعمل للمجد الحق لا للشهرة الجوفاء ولا للمعاني المادية والغايات الخاصة وان هذا لأمثل ما يربى عليه النشء . وادعى الى حفز الهمم للمعالى وعدم الاعتداد بمقارضة الثناء .

ايها السادة :

ان الاحتفاء الحقيقى الذى تقربه عين الاستاذ هو ان نعمل على تمهيد السبل لغايته وتيسير الوسائل لتلامذته الذين يحملون المشاعل للدلالة على معالمه ، وان نهيء الاسباب لأتمام ما بدأ به من نشر العربية والهداية الاسلامية القرءانية في جميع الاوساط الجزائرية حتى تتغلغل الى اعماق صحاري وهران وتصعد الى شماريخ جبال جرجره . وان نثبتهما فى نفوس الجزائريين كما ثبتهما اسلافنا فى نفوس الأفارقة الذين اعتزبهم الاسلام والعربية .

ايها الاستاذ الجليل .

لقد ازحت ما يشبه كثبان الرمل عن سنن الدين والعربية والقومية الجزائرية فعلى الله جزاؤك فى ذلك وفي سبيله ما احتملت في ذلك من ظلم، وتحملت من مشاق وتقحمت من شدائد حتى كانت النهضة الجزائرية وليدة ايمانك وارادتك وكانت مظاهرها نتيجة جهودك وتضحياتك وكانت تطوراتها السريعة بفضل نشاطك وشمول تعهدك.

ان الجزائر — ايها الاستاذ — لم تعرف فى ثلاثة قرون خلت غيرك مصلحا تطاول الى ما تطاولت اليه ووصل الى ما وصلت اليه. في حين ان الزمان بعوائده واوضاعه واباطيله حرب عليه

لا نكذب الله والتاريخ ولا نبخس المصلحين والعاملين لخير الجزائر حقهم ولكن مدارك غير مدارهم. ولكن أسر الحق فيك شديد. ولكن رمي السهم عنك سديد. ولكن باع العلم منك مديد.

ايها الاستاذ:

انشأت الصحافة العربية فسرت بها نحو الكمال حتى كانت مساهمتنا في هذه الجهة محترمة مشكورة. وعرفت بها لهذه الامة العربية ما كان مجهولا عندها من شئونها، وكنت احسن من عبر عن آلام الامة الجزائرية وآمالها. وكنت ابرع من قاد افكارها واحسن توجيهها وكنت احكم من عمل لتثقيف ابنائها حتى كان منهم من سار بها سيرك وسيقفو اثركم تلامذتهم الى ما شاء الله

وبعد فقد رايتني مقصرا فى الحديث عن الاستاذ وعن الاحتفال وان أطلت ولعل في آبائنا الاساتذة او اخواننا التلامذة من يضطلع بالوفاء بذلك واذا قصرنا فما ذلك بعذر وستاتى الزحرف المقبلة من الاجيال وينكشف لها من آثار هذا اليوم مالم ينكشف فتقول فيه مالم نستطع ان نقوله

والسلام عليكم ايها السادة ورحمة الله وبركاته.

ابو بكر الاغواطي

خطبة الاستاذ الكاتب محمد بن العابد الجلالي

(الاستاذ محمد بن العابد من قدماء تلامذة الاستاذ بن باديس ومن بواكر النهضة الادبية . اديب مشرف على الكمال كاتب جزل الاسلوب متين التراكيب وفي للقواعد المقررة . مشرق الديباجة سلس المعانى . وصاف لخفايا النفوس ومساوى الاجتماع . شاعر رصين الشعر على اقلاله منه . باشر تعليم النشء الصغار من سنين فحذق اساليبه وتمرس به فاكتسب الدءوب والصبر والجلد . وله فى تربية الصغار وتحبيب العلم الى نفوسهم طرائق نفسية هو فيها نسيج وحده . وهو الان من الاعوان المعتمدين للشيخ ابن باديس على التعليم)

وهذا نص خطبته :

نحن في النصف الاخير من القرن الرابع عشر من بداية نزول القرآن العظيم على نبينا الكريم (ص) وقد انتهى نزوله ، وانتهت حياة من انزل عليه ، ولكن أسراره ومعجزاته مازالت تكرر وتتجدد مع الدهور والاعوام .

ونحن — الان — فى احتفالنا هذا أمام سر من اسراره ومعجزة من معجزاته ؛

لاول مرة فى تاريخ الجزائر العربية المسلمة الحديث يرى العالم مجموعة اعضاء الشعب الجزائرى مجتمعة متماسكة ، وقد تقلص فيها ظل الفوارق الحزبية والطائفية وانسحقت تحت وطأتها الحزازات والاحن التى كانت وليدة الضلال عن سبيل هداية القرآن .

وقد كان الامس يظن ان الشعب الجزائري قد تدهور نجمه ، وذهب بحقيقته

وهمه . وان الاسلام فيه يتأهب للرحيل لتحل محله الفوضى حتى جاءت معجزة القرآن بمناسبة حفلكم هذا مبددة لتلك الظنون التى كانت عالقة بالاذهان ، والتى كانت تملأ القلوب خوفا واشفاقا على مستقبل الاسلام في هذه الديار . فكشفت للناس عن صريح الحقيقة ، وافهمتهم ان الاسلام لا يمكن ان يتخلى عن نفوذه مادام جلال القرآن في الجزائر يهيمن على القلوب ، وعلى الالسن والرءوس ، وأن أثره في النفوس اعمق واشد امتزاجا بعناصر التكوين في الامة الجزائرية من ان تؤثر فيه عوامل المحق والازالة .

قد تكونوا — ايها السادة — سمعتم قائلا قد قال . او قرأتم لكاتب قد كتب ، وقد تكونوا سمعتم رادا يقول لا ، اومجيبا يقول نعم ، فحسبتم ان هذا الدفع والجذب يتناول الجوهر من النفس ، وقد يؤدى به ، ومن ثم جاء خوفكم واشفاقكم ولكن اسمعوا :

« — قل اغير الله ابغى ربا وهو رب كل شيء ، ولا تكسب كل نفس الا عليها ، ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ، وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم »

« . ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ، ومالكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون »

« . . وهذا ذكر مبارك انزلناه ، أفانتم له منكرون »

« . . قل انما انذركم بالوحي » .

هل يوجد بين هذه الالسن لسان يستقيم له التلفظ بلا في موضع نعم ، او نعم فى موضع لا امام هذا الجلال المحيط . وهل يستطيع فكر انسان بالغ ما بلغ من الحدة والصفاء . ان ياتي بآية تعارض هذه الآيات البينات او تثبت امام تيارها ، واي

ضمير ينشد السعادة والجمال . ثم يلوح له سر القرآن فى مثل هذه الآيات البينات ولا يخر ساجدا ..

هذا هو القرآن الذى نحتفل به الان فى شخص من انفق حياته وراحته فى خدمته .

ومن كعبد الحميد يستحق التكريم وفى كل صدر من صدور الحاضرين شعاعة من هدى القرآن انبعثت من ذلك القلب الذى بين جنبي عبد الحميد . لقد كانت وجهتنا بالعبادة هياكل الشياطين ، ومنذ صاح بها عبد الحميد فنسفتها صيحاته لم نجد امامنا الا القرآن وجنده الباسل ومجلى اسراره عبد الحميد .

فهل يكفي في تكريم رجل ، هذه آثاره ، كلمة متواضعة ، يقولها عاجز مثلى يقضى بها جزءا طفيفا من واجب الابوة الروحية ؟ ..

ان واجب عبد الحميد يقضى برفع تمثال له فى كل مدينة من مدن القطر ، واذا كان هذا متعذرا ، لظروف قاهرة فلا أقل من ان يتخذ رسمه من أنفس واجمل ما تحلى به صدور البيوت .

هذه كلمتي المتواضعة قدمتها كتوطئة لتهنئتي لاستاذي بهذا النصر المبين ، راجيا منه تعالى ان يبقى لنا حياته حتى يستأنف العمل في خدمة السنة النبوية .

إنه قريب مجيب . محمد العابد الجلالي

قصائد الشعراء



كانت اولى القصائد انشادا فى الاحتفال قصيدة الشيخ المسن البركة سيدي الحاج احمد البوعونى، ألقاها احد الحاضرين نيابة عنه لعجزه عن الالقاء.

قدم القصيدة وناظمها للمحتفلين رئيس الاحتفال الاستاذ الابراهيمى تقدمة لطيفة ذكر فيها الناظم بما هو اهله. وانه مع علو سنه واخذه من طبقة بعيدة الصيت فى عالم الشهرة كالشيخين: عبد القادر المجاوى وحمدان الونيسى وغيرهما ممن كان الاخذ عنهم مدعاة للفخر والاستطالة وشموخ الانف — فانه مثل من علماء السلف فى انصافهم وايثارهم الاستفادة على كل شيء، وان من ءاثار هذا الخلق فى نفسه انه ما كان الاستاذ بن باديس — وهو في درجة احفاده وممن شاركه فى الاخذ عن بعض اولئك المشائخ — ينتصب للتدريس بقسنطينة حتى اخذ الشيخ البوعونى — مع جلالة قدره وسنه — مكانه بين التلامذة وكان اجلدهم على ملازمة الدروس الكثيرة واوسعهم عارضة فى البحث والمناقشة فاذا فرغ من الدروس المقررة قضى بقية اوقاته فى تفقد التلامذة وتحريضهم على المطالعة وتحضير الدروس واعادتها لهم مما لا يضطلع به حتى الشبان الاقوياء

وعد الرئيس من لطائف الاتفاق فى ربط الاحفاد بالاجداد ان الشيخ البوعونى ابقاه الله كان ينظم القصائد فى تهنئة مشائخه فى المناسبات وفى اختتام دروسهم المهمة وقد بارك الله في عمره حتى شهد الاحتفال بختم التفسير من الشيخ بن باديس وقد حضره كله في ربع قرن فيما نعتقد ففاضت نفسه المنصفة بهذه القصيدة وكانت قصائده تاريخا لثلاثة اجيال كاملة.

ثم نوه بفضيلة الانصاف وازومها للعلم وقال ان الشيخ البوعونى حجة الله على

علماء عصره الذين يذهب بهم الكبر والاستنكاف الى حرمان انفسهم من العلم استطالة واغترارا بمكانتهم في السن او الجاه واحتقارا لمن هو دونهم سنا وان كان فوقهم علما .

اقتصرنا في نشر القصيدة على غررها مع تصويب كلمات خفيت علينا في مسودة الناظم استهلها — حفظه الله وبارك في عمره — بقوله :

أمجد باللسان وبالضمير ... اله العرش ذا الفضل الكثير
وأحمده — وحمد الله ذخر ... اقدمه ليوم قمطرير
وأثلث بالصلاة وبالتحايا ... على المختار هادينا البشير
وبالرضوان عمن تابعوه ... بإحسان الى يوم النشور
نبي جاء بالقرءان يدعو ... عباد الله للحق المنير
وفسره هداة من صحاب ... بتبيان يجل عن النظير
تلقوه على من فض عنه ... فراتا مثل سلسال النمير
كتاب اعجز الفصحاء طرا ... فما ما زوا قبيلا من دبير
(وقد بذت فصاحته ذويها ... فما قدروا على النزر اليسير)
تسامى حبرنا الطبري عنهم ... بصدق النقل للاثر الا ثير
وجلى فخرنا الرازي فيهم ... بما للعقل من نظر خطير

ومنها

اقول لمعشر وفدوا واموا ... رحاب المعهد الغض النضير
او قد حل في هضبات سرتا ... حللت (البيت) بين (هدى) ونور
ولقيت الحفاوة في ورود ... ووقيت الكثابة في الصدور

وقوراء المقاصر قد تبدت ... لكم في الوشي منها والحرير
تلاقت والخورنق في جلال ... وزادت في الجمال على السدير

ومنها قوله :

وان الشعر ممن عاش قرنا لكالهذيان فى الطفل الصغير

ولو عاد الشباب لقمت فيها مقامات الفرزدق او جرير

القصيدة الثانية قصيدة الاستاذ مبارك جلواح العباسي

الاستاذ مبارك جلواح شاعر وجداني رقيق له نبرات مشجية في التغنن بمحاسن اللغة العربية ومفاخر السلف الامجاد . تغمره روح جزائرية قومية مكن لها فى نفسه نقاء النشاة والتربية . وزكاء العرق والقبيل .

قليل العناية بالصقل والتمحيص ومن هنا جاء ما يرى في شعره من اسناد بعض الكلمات الى ما لا يلائمها ومن عدم الانسجام فى بعض التراكيب ومن نبو بعض المفردات في جملها ، ولو انه ملك زمام القواعد وراض نفسه على اجادة السبك بممارسة كلام الفحول ، لكان منه للجزائر شاعر اي شاعر .

وها هى قصيدته

حي بدرا بافق «سرتا» تلالا يكسب الأرض والسماء جمالا

حي عني حياله هالة قد البسته مهابة وجلالا

ذك عبد الحميد سيد من أحيا الهدى بيننا واردى الضلالا

وهي ما اوفد التقى من وفود ساعة الختم تحضر الأحتفالا

قد دعاها عبد الحميد فلبت لدعاه ضياغما وشبالا

فتبارت من كل فج الى دا ر إمام الهداة تزجي الرحالا

وتلاقت بساحها كالضواري زائرات وكالدراري تلالا
تملأ العين والبصائر نورا وحجى كل يائس آمالا

ايها الوافدون حياكم الله واحياكم لنا ابطالا
قد قضيتم لدينكم كل دين ورفعتم بين البلاد «الشمالا»
وبعثتم بشعبكم في سماء الـرشد للمجد يسحب الأذيالا
وانرتم لحيكم بسنا الضـاد المفدى جواءه والجبالا
ووضعتم على الرقاب من الجهـل بايدي بنيكم الأغلالا
وبعثتم بها بلابل تشدو بالمعالى فتنشر الآمالا
ورئابيل كلما زارت زلـزلت الأرض حولها زلزالا
هكذا كانت الاوائل تبني لبناها وتنجب الأنجالا
ومضوا تاركين بعدهم ذكـرى تجوب القرون والاجيالا
تتحدى بها العروبة والاسـلام ارقى الشعوب والأقيالا
كيف لا كيف لايباهى بما نـزله للورى الالاه تعالى
وأنى المصلح العظيم به يصـلح للناس قولهم والفعالا

أيها الحفل إن سربا من الامـلاك قد مد فى ذراك الظلالا
ارسلته عناية الله حرسا لك كي تطمئن يا حفل بالا
حيه إنه حيالك قد طـاف به «الروح» يمنة وشمالا
حاملا فى يديه تفسير باديـس شهاب الهدى لما الله قالا
فابسطن راحة الولاء إليه إنه هش اذا رآك ومالا

هش لما رآك تفسير باديـ س وناغاك في هدو تعالى
إنني قد حويت من درر القر آن للمسلمين مالن ينالا
ليت شعري لو تجود بنوري لبني الشعب نسوة ورجالا
فابث الرشاد في الشيب منهم واربي على التقى الأطفالا
إنني اتقي عليهم شقاء فوق ما قد عراهم ونكالا
كيف لا يتقي البوار شعب حاد عن مهيع الرشاد وحالا
ثم القى عنانه بيدي من كان لله خائنا دجالا
ايها الشعب حسبك اليوم ما جر عك البغي نكبة ووبالا
حسبك اليوم ما رماك به الجهـ ل لقد ذقت في الوجود الزوالا
فاطلب العلم إن اردت حياة غضة تعقب الضنى ابلالا
ليس تصفو للجاهلين حياة لا ولا يدرك العلاء الكسالى
واسلكن مسلك المهيمن تدرك كل ما يطبيك سنه منالا
إن من سنة المهيمن ان يرفع من كان يحسن الأعمالا
ويهين الأُلى اهانوا حماه واساءوا بين الورى الأعمالا
واحمد الله ايها الشعب ان اطـ ـلع باديس في سماك هلالا
يرشد الحائرين حينا واحيا نا يربى لغابك الأشبالا
وإذا ما استراح يوما تعالى ليلاقي عن العرين النبالا
فاشكرن واحمدن ثباته واطلب لعلاه فوق الكمال كمالا
واسأل الله ان يطيل بقاه لحمانا ودينا ... ٧

القلعة العباسية مبارك بن جلواح العباسي

القصيدة الثالثة

قصيدة الشيخ عمر بن البسكري العقبي

الشيخ عمر بن البسكري داعية جهير الصوت بالاصلاح . كاتب متين القلم في الدينيات سديد الراى فيها قوي الحجة في مباحثها اكسبه ذلك قيامه على كتب الفحول من فقهاء السنة امثال ابن تيمية وابن القيم والشوكانى . وهى كتب تربي ملكة البيان كما تربى ملكة البرهان

والشيخ عمر يقرض الشعر فى المناسبات المتصلة بفنه فيرسله ملونا بعاطفته متاثرا باحساسه . عامرا بالمعانى . ويغفل عما وراء ذلك من احكام الصنعة وسياسة التراكيب . لذلك تجد فى شعره — على قلته — عيونا من الابيات بين اخوات لها متفاوتة الحظوظ في اجادة السبك . ويقرا القارىء شعره وكتابته فيحكم بان الشيخ عمر الشاعر غير الشيخ عمر الكاتب .

والشيخ عمر اجلد دعاتنا وكتابنا على المطالعة والقراءة . وما زلنا ننعى على علمائنا وادبائنا هذا الكسل المزرى عن القراءة ونرد اليه كل ما يظهر في انتاجهم من ضعف ونقص

ولو ان الشيخ عمر اعطى كتب الادب ودواوين الشعر من العناية مثل ما اعطى كتب فقه السنة لاستحكم سبكه وفحل شعره وجزلت تراكيبه .

وان مطالعاته الدينية التي تفتح لذهنه وآفاق الاصلاح وتلهمه سداد الراي والقول فيها — لمحتاجة الى مدد من مطالعات ادبية تمكن لاسلوبه في الشعر . وتزيد طريقته في الكتابة متانة وقوة . وان عسى ان يتسع وقته لذلك

وهاهى ذي قصيدته

لا ومبداك ما اسيرك حد وختام يا يها ذا المجد
انما تلك راحة بعدها تسـ ـتأنف السير لا يعوقك ضد
إيه عبد الحميد من تلكم الرو ح التى من لهيبها كان جند
فابتن اليوم للجزائر مجدا انت من يبتني به ذا المجد
وانشر اليوم للجزائر تاريـ ـخا طراه المجهول والمستبد
انما انت آية الله تتلى ما لمن يطلب الهدى منك بد
رددتها مصر ، فشام ، فهند وبها آمنت حجاز ، فنجد
قمت تدعو لله وحدك والخلـ ـق جميعا عن دعوة الله صدوا
فتحملت فيه مر البلا حـ ـتى كأن البلاء عندك شهد
باصطبار حتى كأنك ارض وثبات حتى كأنك طود
سيد كله حنان ورحمى فهل الخلق كلهم لك ولد ؟
متفان في نفع امتك الثكـ ـلى لتبقى سعيدة (يا سعد)
ساهر وهى نوم ، تعب وهـ ـي جمام ، مستضعف وهي شد
يا قناة ما كان الينها في الحـ ـق أما لباطل فهي صلد
للامام الذى تجمع فيه كل فضل ، وسؤدد ، وهو فرد
وهمام ،(وفيصل) وملاذ (ومعاذ) وماجد ، ومرد
لك في كل الصالحات يد ما زال في الله زندها يشتد
فتبصر يا صاحبي وتدبر هل يضاهي جهد ابن باديس جهد
في دروس بالجامع الاخضر الزا هي اشد بالازهر الجزائرى أشدو
من صراحاته التي ارتاع منها كل طاغ حتى كانه رعد

من مواقفه التى زلزلت صر ح الضلا لات فاغتدت تتهد
من صحافاته التي لم تزل لل خير تفشى وللضلال تبد
فتحقق ، إن الامام لدى الل ه لروح واولدى الناس جسد
خل ذا فالامام اعلى من ان يس توعب المدح منه منك الجهد
واقتبل هذه الوفود وصحاها لا ومرحبا ، بيما وفد
فانزل اليوم في القلب لكي يط فأ منا شوق اليك ووجد
قد حدانا حب التلاقي كما يح دوك حب التلاقي . والحب يحدو
ودعانا داعي الوداد فلبي نا . وداعى الوداد ايس يرد
يا لحفل قد بارك الله فيه ثم املاكه العلى به تشدو
زجلها قد سرى من الشرق للغر ب وجبريل آمر وممد
ومن الانبياء شكر وللرس ل على الصالحات شكر وحمد
ونبي الهدى مطل عليكم بسلام على سلام فردوا
فعليك السلام يا سيد الرس ل والازمات لم تزل تشتد
من اناس قد ادعوا انهم من ك ومنا وهم لدينك لد
فهم المسلمون في العد لا الحد . وللشيء كان عد وحد
لا نراهم الا علينا فهل منـ ك ايا احمد الى الارض عود
قد سئمنا الحياة مع معشر بال غي جرب من الهداية جرد
استطالوا علينا بالافك والاف ك ولو يستطيل يكبو ويكدو
ولو اشتد مفتروه فانا ثقة بالالاه منهم اشد
وبمبدإ القرآن منا لا رشا د جميع الانام صدر وورد

وبمبدا هدي الرسول وما خلف هذين عندنا فهو رد
يااليوم فيه تجلى اتحاد واخاء، ورابطات، وود
قد تحلى جيد الزمان به وازدان من دره لانه عقد
لست انسى فضل الاهالى وما قاموا به من مكارم لا تعد
ان يكونوا لدى المكاره اسدا فلدى البذل ابحر او جود
فعليهم من الاله صلاة وعليهم منا ثناء وحمد
وعلى الحاضرين ماكان منهم للمعالى ختم، وبدء، وعود

عمر بن البسكري

القصيدة الرابعة

قصيدة الشيخ السعيد صالحي اليعلاوي

والشيخ السعيد صالحى اصيل النسب في العلم سديد الخطا في التعليم قريب المنهج في ارشاد العامة الى الدين الصحيح لطيف الاحتيال في الدخول الى نفوسهم خصوصي النزعة والتاثير جاءه ذلك من بيئته التى نشأ فيها وافقه الذى اضطرب فيه ثقيل الوطأة على دجاجلة العلم وسماسرة الدين. بارز الاثر في الاصلاح الديني عمل له في وطنه فمكن اصوله وأحكم قواعده وقطع البحر في سبيل ارشاد إخوانه المسلمين وجمع كلمتهم على الهدى والحق فتجلت اخلاقه الاسلامية المتينة في الصبر والثبات والعزيمة والاخلاص.

يتاثر من الوان الادب القديم باللون الاندلسي الشائع ويقرض قليلا من الشعر مصبوغا بذلك اللون الذى اصطبغت به نفسه. ولكنه — كغالب اخوانه قالة

الشعر بهذه الديار — ينقصه استعراض اساليب البلغاء وتحديها وتمرين القريحة على محاكاتها . وتيقظ الذهن الى اسرار فقه اللغة ومواقع فصحها . ومجانبة الرخص النحوية . وتحكيم استعمالات الفصحاء فى القواعد النظرية . وعسى ان تكون كلمتنا هذه حافزة لهممهم فما اردنا بها الا ذلك .

وهذا هو موشح الشيخ سعيد صالحى وفيه شواهد على ماذكرنا فى هذه الكلمات :

منظر اطرب صبا مغرما أترى من مطربي من مؤنسى ؟
اترى سحر بيان قد رمى قلب صب شيق بالانس
فاصدحن يا بلبل الدوح الانيق انت للافراح صيداح الزهر
بسم الثغر وفى الثغر الرحيق فابسمن يا دهر للانس الاغر
هذه الاتراب بالقد الرشيق هذه الحور تبدت بالخفر
يا قسنطينة يا زين الدمى انت خرد في حبير السندس
قد سقيت الروح من راح اللمى وسكرنا من شفاه لعس
فتأدب يا قريضا فى خيال إنها ءايات رب العالمين
ولئن شوقنى سر الجمال ان ذا المحفل للروح الامين
فاصغ للقرءان ءايات الجلال مالك الانفس والنور المبين
هذه لآيات آيات السما هذه الطهرى طهور الانفس
دع خيلا فلقد زال العمى وتقدم لرياض القدس
هذه حفلة ختم فابتسم ارض افريقا تبدت فى حبور
حفلة التفسير فاضت فاعتصم واعترف ان شئت للسعد العبور
هذه جنة خلد فاغتنم وتنعم بجنى النحل وحور
هذه كلية الشعب بما فاض فيها من غزير البجس

تتهادى بزهور مثلما لاحت الخرد بعد الغلس

إعتبر ياشعر في تلك الدروس نشرت في القطر روح الارج
وابحثن هل قام ثاو في الرموس ان ذا البحث قديم المعرج
أفروح الفخر طافت بالنفوس ام بيان العبقري الأعرج

ام ابو جعفر أم لا ربما ام ابو حيان في الأندلس
ادروس لدهاة قُدَ ما طعنت بالحق كيد المُبلِس

فتبصر إذ لعل ابن كثير عاد للتفسير في عهد جديد
او لعل القرطبي المستنير اورشيد الدين في العصر الشديد
جدد النظرة في الجسم الصغير أصحيح انه عبد الحميد

ابن باديس ورأس العلما طيب الاصل كريم المغرس
قد كساه العلم ثوبا مُعلما ولباس العلم اغلا ملبس



ايها المنقذ شعبا باسلا قد رسمت اليوم للنشء الدليل
يوم ان يممت عذبا ناهلا وفراق الأهل في العرف ثقيل
ثمت في تونس تبنى معقلا ان مجد العلم لا شك اثيل

عشت يا باديس فردا علما بالمعالي مستنير النفس
همة الدين لهيب اضرما شعلة الجِد لنفخ القبس

أبت والفتنة عمت في البلاد ودعاة الدين في اسر الجمود
فاذا الوهم تربى في العباد حاول الالحاد تحطيم القيود
فمريد الدين بالوهم يصاد وسراة القوم في عيش القرود
اسكروا النشأ فانسوه الحمى اسلموا الجسم الى المفترس
مذ اذلوه صغارا وعمى نالت المرمى يد المختاس
ألفوا الظلم وقدما ظلموا إن شعب الجهل شعب ممحل
ركدوا في جهلهم واستسلموا ن خير الجهل سم حنظل
من زعيم القوم ؟... مثر ظام من رئيس الدين ؟... نذل اجهل
واذا الجاهل اضحى حكما فنجوم العلم في المندرس
واذا الامة امست عدما واذا الآمال في المنعكس
جئت بالعلم وللعلم صعود فسهرت الليل رتقا للفتق
وحللت البدر في سعد السعود ودعاة العلم في سجن الفرق
حكمة فيها لتكوين الجنود انقذت آياته من قد غرق
قمت ياباديس يامن قد سما قومة الحر الكريم الأشوس
عند ما الداء اتى مستحكما معهد الأخضر يشفي المؤتسي

ساح في اوطاننا مستطلما جس نبض الشعب في المعتقد
درس الامة فيها فوعى شاهد الجهل وجور المعتد
اجمع الامر وبالحق دعا فاجيء العالم « بالمنتقد »
كان « كالداخل » فيما قدما فاذكر « الداخل » في الاندلس

حكمة فاضت علينا ديما فاستقى الفرثان منها المحتسي
ذعر الجبار . ما هذا الملام إن الجبار نفسا في التهاب
ايجوز اليوم احياء الرجام ملئت بالكيد نفس والإلهاب
خنقت في المهد والناس نيام فاذا الصرخة في جو « الشهاب »
أُحكمن ياحق حكما مبرما واقذفن بالشهب باغ والمُسى
سجل الحكمة سفرا محكما ياشهاب الدين ماحى النحس
طرد الشهب وساويس الركود ما زهور الشعب الا باسقه
إن ترم يا عام ايقاظ الرقود فامددن للشهب ايد عاشقه
لو راى الباطل إبداء الحقود لأتى الحق له بالصاعقه
صولة القوة تمحو النسما غير ان الفكر منها يكتسى
فاذا سا الظلم في الأرض طما بدت الفكرة ام الحُلس
مد للأمة حبلا فملت سدد الرمية علما فرمى
مد في الأسلاك اخلاقا زكت واذا الاخلاق فاضت فابسما
سارت الفكرة ثم اختمرت انجبت « جمعية العلما »
واذا الاخلاص فى القلب نما لمس الداعي جليل الملمس
فاهنأن ياعلم فيما انتظما قطر نا مسى بها في عُرُس
خطت الدعوة في عصر شديد خطوات نجحى المستبصر
صرخ الصرخة والجهد جهيد فاذا الصيحة « للمؤتمر »
ان يحل دون المنى جور عنيد فنجاح الامر للمصطبر

ان ترد اين جهود العظما فاسئل الشمس عليها وأتسى
وابحث التاريخ عما ارتسما انت يا باديس زاكى المغرس
اسالن قلعة حماد وما اسسوا فيها من المجد الأثيل
كم الى العلم اقاموا علما كم اناروا لذرى العز السبيل
وحدوا افريقا من بعد العمى وابانوا للأمازيغ الدليل
انطقن يادهر بالله حكما فبظلم الجهل مجد قد نسي
شيدوا عزا رفيعا محكما وجهوا الشمس لعز اقعس

ايها النشأ وللنشإ طموح زهرة الارض شباب العز مات
فمتى يانشأ تلتام الجروح ومتى تزهو بكم هذه الحياة
فادرع بالصبر والصبر فتوح وادرس الغابر فالماضي عظات
اقتل الياس وسل ما قسما يا شباب نوره لم يطمس
طر الى العز وخض مقتحما معظم اليم وأقصى اليبس
يا نجوم القطر يا أسد الشرى اين ميراث كرام غبروا
غرسوا المجد على وجه الثرى ليس الا العلم • واه من قُهروا
فا متطوا ناصية الشمس ذرى جذرنا يا قوم جذر ازهر
من هنا لاح الهدى ثم نما من هنا يا نشأ نور نرجس
ها هنا نبتى على رغم الضمى ها هنا فى انعم او أبؤس

أيها الراغب فى امالـه لك فى عبد الحميد المثل
اسأل الرتل على تجواله انه فى السوح فرد اول

اسأل الطلاب عن احوالـه فهو الشمس التي لا تأفـل
فاض بالحكمة فيضا مفعما فاكتسى منهـا بابهى الملبس
اكرمن بالعلم لما ان همى اكرمن بالسير سير المرس
حين امسى القطر محلول الوثام غير شبه من بقايا الرمق
سدد الجهل الى النشإ السهام اين اهل العلم ؟ فى مفترق
كاد من يأس يناجيه الحمام انقذوا بالألمعى المعرق
ظلمات الجهل حالت سدّ مـا بددت بالعبقري البيهس
فاسأل الاخضر عما ادعى ان للعلم مكين الاسس
واصل الاعمال ليلا بالنهار جد لما أخرج الشطأ النبات
كهرب الانفس بالدين وطار عالي الهمة ماضي العزمات
سل سيف الحق والحق منار قامعا فى السير أقسى العقبات
قهر اليأس وسل القلما ثابتا فى الوعظ لم ينخنس
أين كان الشعب فيما انصرما ؟ في خضم من محيط اطلس
إيه يا باديس ياروح الفدى أثمر الغرس ففي النشإ المنى
فادأبن فالقلب قد ذاق الهدى ذاك « والحق » العلى نفس الغنى
حصحص الحق وذاب الحسدا يدمغ الباطل حق فانثنى
سنة القهار فيما قدما نصرة الحق ومحو النجس
هذه افريق كانت عدما حييت حقا بشم المعطس
أيها الحفل وفي الحفل ادكار قمت بالواجب فاهنأ بالحبور
أترى أيقظك العلم المنار أم أنى الحين لان تمحى الشرور
فاصرخن يا حفل والعرب تغار واصدحن بالشعر والشعر شعور
فلتعش جمعية للعلما وليعش ناصرها والمؤتسى
وليعش قائدها فى العظما هنئن يا شعر من فى المجلس

سعيد صالحي

القصيدة الخامسة قصيدة الاستاذ محمد العيد ءال خليفه

الاستاذ محمد العيد . شاعر الشباب وشاعر الجزائر الفتاة ؛ بل شاعر الشمال الافريقي بلا منازع شاعر مستكمل الادوات خصيب الذهن رحب الخيال متسع جوانب الفكر طائر اللمحة مشرق الديباجة متين التركيب فحل الاساوب فخم الالفاظ محكم النسج ملتحمه . مترقرق القوافي . لبق فى تصريف الالفاظ وتنزيلها فى مواضعها . بصير بدقائق استعمالات البلغاء فقيه محقق فى مفردات اللغة علما وعملا . وقاف عند حدود القواعد العملية محترم للاوضاع الصحيحة فى علوم اللغة كلها لا تقف في شعره — على كثرته — على شذوذ او رخصة اوتسمح فى قياس اوتعقيد فى تركيب اومعاظلة في اسلوب . بارع الصنعة في الجناس والطباق وارسال المثل والترصيع بالنكت الادبية والقصص التاريخية .

ومن يعرف محمد العيد ويعرف ايمانه وتقواه وتدينه وتخلقه بالفضائل الاسلامية يعرف ان روح الصدق المتفشية في شعره انما هى من ءاثار صدق الايمان وصحة التخلق . ويعلم انه من هذه الناحية بدع في الشعراء .

رافق شعره النهضة الجزائرية في جميع مراحلها وله فى كل ناحية من نواحيها وفي كل طور من اطوارها وفي كل اثر من ءاثارها — القصائد الغر ، والمقاطيع الخالدة . فشعره — لوجمع — سجل صادق لهذه النهضة . وعرض رائع لاطوارها

وقد سمت نفسه في العهد الاخير الى الشعر الفلسفى ونظم فيه عدة مقطوعات لزومية رائعة نشر القليل منها .

واذا كان فى النهضة العلمية الادبية بالجزائر نواحى نقص فمنها ان يبقى شعر محمد العيد غير مجموع ولا مطبوع

بمثلك تعتز البلاد وتفخر ... وتزهر بالعلم المنير وتزخر
طبعت على العلم النفوس نواشئا ... بمخبر صدق لا يدانيه مخبر
نهجت لها في العلم نهج بلاغة ... ونهج مفاداة كأنك حيدر
حبتك عمالات الجزائر حرمة ... مشرفة عظمى بها أنت اجدر
ففي كل وفد راشد لك دعوة ... وفي كل حفل حاشد لك منبر
يراعك في التحرير امضى من الظبى ... وأقضى من الاحكام أيان يشهر
ودرسك في التفسير اشهى من الجنى ... وابهى من الروض النظير وابهر
ختمت كتاب الله ختمة دارس ... بصير له حل العويص ميسر
فكم لك في القرءان فهم موفق ... وكم لك في القرءان قول محرر
قبست من القرءان مشعل حكمة ... ينار به السر اللطيف ويبصر
وبينت بالقرءان فضل حضارة ... أقر لها كسرى واذعن قيصر
حكيت (جمال الدين) في نظراته ... كأن (جمال الدين) فيك مصور
واشبهت في فقه الشريعة (عبده) ... فهل كنته ام (عبده) فيك ينشر؟
اعد يابن باديس الحديث وأبده ... بانعمك اللاتي بها انت تؤثر
قسنطينة اعتزت بان وفودها ... على الخير فيها والهدى تتجمهر
وفود سلام لا وفود خصومة ... تبشر فيها بالرضى وتبشر
وتهدي الى عبد الحميد تحية ... كزهر الربى او انها منه اعطر
وتهنئة منها بختم مفسر ... من القول لا يسمو عليه مفسر
فواصل غر كالنجوم مطالعا ... بها يهتدي للحق من يتحير
وصحف من الله الكريم كريمة ... مطهرة فيها كلام مطهر

اقام لنا (عبدُ الحميد) أدلة على علمها الجمّ الذي ليس يُحصر
ابان الهدى فيها لمن يبتغي الهدى وساق بها الذّكرى لمن يتذكر
لقد ناهز الخمسين في العُمر دائبا على الجد لا يشكو ولا يتضجر
قضى ربع قرن ينشر العلم صابرا على عقبات ما عليهن يُصبَر
وُربّي في ظل السّعادة مقبلا على العلم يرعى شخصُه ويقدّر
بدوحة عز (المعز) رفيعة على الدوح صُلب فرعُها ليس يكسر
قسنطينةُ اهتزي سروراً وغبطةً بانك ثغر للصناديد يُثغر
وانكِ مَنحىً للمكارم يُنتحى وانك دار للعلوم تُديَّر
وانك مَجلىً للطبيعة يُجتلى ومنظرة منها إلى الكون يُنظر
نباتك ريحانٌ وتربك فضّة وصخرك مرجان وماؤك كوثر
على طودك الاسمى قناطرُ ضخمةٌ بها يقطع الوادي إليك ويُعبَر
وفي دورك العظمى مآثر جمة إذا هُدّ منها مآثر جَدّ مآثر
وفي ظلك الاحمى معابد فخمة معظمة فيها الشّعائر تُكبَر
فيا جامعاً مثل المنارة لامعا تنوّر فيه الحق مَن يتنور
ويا مسجداً للعلم أُسس والتُّقى وبالوعظ والارشاد مازال يُعمَر
وبيتا يُعز الله من بفنائه يَذل ويُخزى الله من يتكبر
ابِن عن جُمان فيك يُنظم خالصا ودرٍ كريم في رحابك يُنثر
همى بك غيثٌ لابن باديس هاطلٌ فانت به ريانُ كاسمك «أخضر»
أرى «الازهر» المعمور فيك مجددا كما كان يحميه (المعز) و (جوهر)
كأنك يوم الختم في الارض جنة مفتحةٌ، انهارها تتفجر

سلام على العلم الذى فيك يبتغى سلام على المجد الذي فيك يُذكر
سلام على الدرس الذى فيك يقتدى اليه من الفج العميق ويُحضر
سلام على النّاس الذين به اهتدوا إلى آية «النّاس» التي فيه تظهر
سلام على ثاني الرّبيعين إنّه كأوله في اشهر العام انور
سلام على (كلية الشعب) إنها تُحف بأنصار السّلام وتُخفر
سلام على شيب على الخير تلتقي بها وشباب المبرة يسهر
فيا محفلا ما مثله اليوم محفل حوى معشرا ما مثله اليوم معشر
به حلل بيض وسود كثيرة وفيه رؤس كاسيات وحسّر
نظيرك يرقى بالبلاد ويعتلى ومثلك يحظى بالمراد ويظفر
أفيدك بالقول الذي ليس يُفترى وأمحضك النصح الذي ليس يُنكر
صل العرب العرباء واحم لسانهم فإنّك من اصلابهم تنحدر
وسر في طريق الراشدين على هدى فكل طريق غيرها لك متعثر
فهم اسوة الخلق التى يقتدى بها وهم صفوة الله التي لا تُكدّر
وهم مثلي العُليا الذين بفضلهم أنبيه على كل الأنام وافخر
تدبر كتاب الله إن كنت أهله فأهل كتاب الله من يتدبر
تغنّ به واجلب به الانس مزهرا من الخلد لا يحكيه في الارض مزهر
تعاهد مع القرءان وأب تغيُّرا ألست ترى القرءان لا يتغيّر؟
فاعرض عن الخُلق الذي فيه يزدرى واقبل على الخلق الذي فيه يشكر
واقدم على خير المساعي مضحيا ولا تك فيها خائفا تتحذر
إذا كنت حزب الله سرّاً وجهرةً فثق أن حزب الله لا بد يُنصر

وثق ان للإسلام غابا كثيرة إذا غاب منها قسور ناب قسور
وثق أن في أرض الجزائر أمة تيسر سعياً للعلى وتسير
وثق أن للتاريخ حكما مؤخرا وكم نسخ الاحكام حكمٌ مؤخرٌ
وثق أن مالك الأرض غير ممهد لمن بات فيها بالهوى يتأمر
فمن سامها بالجور هاج عبادها ولم يحمه منهم سلاح وعسكر
ومن ساسها بالعدل ساد بلادها كما ساد ذو القرنين أو بختنصر
فيا شعب لايحزنك أنك تبتلى وانك تقصى عن علاك وتقصر
فنحن الأساطين التي بك تعتلي ونحن الاساطيل التي بك تمخر
ونحن الرجال الثابتون عقيدة على المبدإ الاسمى إلى حين نقبر
نقودك مأمون المسالك سالماً إلى حيث لا تشقى ولا تتضرر
ونطلب بالقول الصريح حقوقنا ولكننا في القول لا نتهور
ونرضى بحكم الله في كل موقف فلا نكثر الشكوى ولا نتطير
فثابر على الحق الذي انت طالب فإنك في تضييعه لست تعذر
ولا تؤذ من آذك فالحلم مورد هنيءٌ مريءٌ لم يسؤ منه مصدر
وكن مستميتا فى جهادك ثابتاً وإن كنت بالجلى الرصيدة تنذر
وإن تكن الجلى عليك كبيرة به فالحسب الله والله أكبر

محمد العيد آل خليفة

كلمة لجنة تنظيم الاحتفال بختم تفسير القرءان

القاها أحد أعضائها

الشيخ عبد الحفيظ الجنان

(الشيخ عبد الحفيظ الجنان شاب كله شعور وقلب ، فتح عينيه على بوارق النهضة الاصلاحية الاولى فخيطا اول خطوة في الحياة على ضوئها . ثم واصل سيره على هداها . لم ينحرف به عن صراطها اقلال ولا رقة حال ؛ ولا اذى راصد ولا كيد مبيت . بل ظل يزداد ثباتا كلما زادته الحوادث عركا ، تلقى العلم على الاستاذ المحتفل به سنين ثم عاجلته الظروف وغمسته فى العمل فاشتغل بتلقين القرءان للصبيان فقدم للنهضة عملا لا يقدره حق قدره الا القليل وان كان لا يحسنه من العاملين للنهضة الا القليل ، وهو تقويم ألسنة الصبيان على النطق بالحروف العربية نطقا صحيحا متينا مبرأ من الزيغ عن المخارج الاصلية ، ومن الحيد عن الصفات المحققة . وقيمة هذا العمل فى أنه تنشئة لألسنة الاطفال منذ تفتقها ، وللهواتهم من يوم تشققها على سلامة النطق ومتانة التعبير ؛ وهذا باب من ابواب الفصاحة يعرف قيمته من عرف اي بلاء صبته العجمة على العربية من طريق مخارج الحروف وصفاتها .

والشيخ الجنان قبل ذلك وبعده حركة دائمة ويد عاملة فى كل الاجتماعات والجمعيات المتصلة بالنهضة)

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه اجمعين

ايها الاخوان : ان العين لترنو الى رؤية محياكم ، وأن القلب ليفرح بمقدمكم السعيد ، وان اللسان ليترجم على ماضحيتم به في سبيل نصرة القرءان واهله — جئتم من بلدان بعيدة لتشاركوا في ختم تفسير القرآن فأنعم بكم من غر ميامين وأكرم برجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

اني باسم اعضاء لجنة الاحتفال بختم تفسير القرآن ، أرحب بكم وبجمعكم الطاهر ، وأشكر عواطفكم النبيلة واحساسكم الشريف وتقديركم للرجل الفذ استاذنا الاكرم الشيخ عبد الحميد بن باديس الذى وضع الحجر الاساسى لهذه النهضة العلمية المباركة على عموم الامة المحمدية

أيها الاخوان لا بأس أن أبسط لكم نبذة وجيزة عن مئاثر هذا الرجل فانه منذ نعومة اظفاره وهو يهيء نفسه لاكتساب المعالي وباجتهاده والمعيته نال مبتغاه في دار العلم « تونس » ورجع الى وطنه مزودا بعلوم وآداب وأخلاق سامية . وكانت سوق العلم والادب كاسدة فانفق حياته وكرسها لبث روح الحياة فى بني جلدته ، وانتصب للتدريس مدة مديدة فنشر اللسان العربي في طبقات الخاصة والعامة ، ثم رأى — ورأيه الاصوب — أن هذا التاخر العلمي لم يمد اطنابه على قسنطينة فقط بل على القطر كله ، فهب بعد عهد قريب فى اهل قسنطينة حمية جديدة ودب في قلوبهم حب العربية وفهم القرآن فما كاد يسطع نور ربع قرن حتى صارت وعمالتها والجزائر وعمالتها الى ما تشاهدون ، فيها مذكيات العقول فمن اشتهر من الادباء هم الذين شنفوا أسماعكم بلذيذ القول في خطبهم وأساليبهم العربية الفصيحة

أيها الاخوان ها قد حان ان نذكر ما جرى في عهد مضى ، ان طالب العلم يقرأ القواعد المجردة من كل روح تعرفه بمصيره و مصير أمته التي تنتظر علمه و تعليمه فكنا نحن معشر الطلبة نحشو ادمغتنا بقواعد و نساجل بها ولا نعلم أن مجتمعنا الجزائري ينادينا الى وضع لبنة حياته ، وكنا نقنع بتلك الكليمات نمضغها من دون نتيجة. وعشنا حياة منقطعة عن كل تفكير حر يبرينا من الجمود و الخمول في مهاوي الضلالات والرسوب في اتعس الحالات .

ولما جاء الاستاذ عبد الحميد بن باديس أنشا للطلاب (مدرسة) الحياة فمن أحب الوقوف على تفاصيل اخبارها فليقراها على جبين طلبته وهاماتهم وانما غايتي هنا أن أبين النهضة الدينية التي غرسها وزرعها في ادمغة ابنائه من تلاميذ وعامة الا وهي تفسير القرآن وتفهيمه باسلوب بديع وحيثما حضرته تدرك بالفور صرح الدين المؤسس على الصخرة القرآنية المقدسة يشع في الافاق ويصل الى الاعماق .

ايها الاخوان لقد شق لهذه الامة التي بعدت عن فهم القرآن سنين طويلة لاسباب غير مواتية لكشفها الان ، طريقا بعيدا و اراها معالم الهدى وارشد الطالب الى المرهم الشافي والمقام العالي ، ومن ذلك الحين وهو يحيي النفوس الموات وبفضل علمه تكون شبابنا الصالح وراح يبني اسس نهضته العلمية والادبية على نظام محكم بديع وها انتم ترون باعينكم كيف تحسن سير الطالب من حال الى حال . وفي اقرب وقت ارتفع الجهل وانتشر العلم وماتت تلك الافكار العقيمة ، واصبح مجموع الامة يسعى السعي الحثيث في انقاذ فلذات اكباده . وتشييد المدارس والنوادي في انحاء القطر يؤيد ما ذكرته من غير عناد ولا مبالغة !

ايها الاخوان لعلي اطلت عليكم الحديث . والوقت غير كاف — فارجو منكم المعذرة في التقصير .

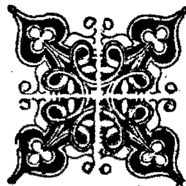
هذا واني الوي عنان الكلام الى استاذي الاجل فاقول : علمتنا كثيرا

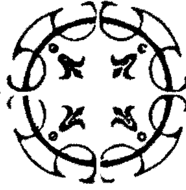
الله المقدس وفتقت افكارنا الجامدة وهذبت طباعنا بما كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يهدي به اصحابه وهي كتاب الله والسنة المطهرة ، وانقذت امتك الجزائرية من روح الاستكانة للمخلوق ، واريتها طرق الصلاح والاصلاح فانعم بها من منزلة عالية . يسرها لك الله ، قضيت ربع قرن فى تفسير القرآن الكريم فتخرجت على يدك مئات من الطلاب الذين حملوا مشعل اليقظة في اوطانهم فاهنا بيوبيلك وليهنا معك اخوانك العلماء الذين مهدوا السبيل لكل من اراد النجاة من الهلاك ، وليفرح معك هؤلاء المحتفلون الذين باعوا الدنيا ومتعها وجاءو من بلدانهم ليحتفلوا بتفسير ختم القرآن

وعليك وعليهم السلام ما تالق نجم فى السماء هذا وان لجنة الاحتفال تغتنم هذه الفرصة الثمينة وتثني الثناء الجم على همة رئيس هذا الاحتفال الاستاذ النابغ الشيخ البشير الابراهيمي نائب رئيس جمعية العلماء الذي كان في تقديمه للخطباء والشعراء كالنابغة الذبياني في سوق عكاظ

وكذلك تشكر جميع من شاركها فى هذا الختم سواء من اهل قسنطينة أو من غيرها ، وفي الختام تقبلوا منها فائق الاحترام واهنأوا بسلام من اخيكم المخلص .

قسنطينة عبد الحفيظ الجنان





خطبة الاستاذ الابراهيمي

التي ختم بها حفلة التكريم

للاستاذ ابن باديس في كلية الشعب

ارتجل الاستاذ خطبته هذه فلم تصطد اقلام الكاتبين من الفاظها الا قليلا مشوشا لم يحفظ ترابط المعاني بين اجزائها . فألح جماعة من السامعين المعجبين على الاستاذ ان يكتب ما علق بذاكرته من الفاظها ويضيف اليها بقلمه ما يربط بين معانيها حرصا على تخليدها في خطب الاحتفال فحقق رغبتهم بكتابة ما يراه القاري منشورا بعد هذا :

ايها الملأ الكرام :

ما اشرقت شمس في الجزائر الحديثة على مثل يومكم بالامس . ولقد مضى بجلاله وروعته ولم ينطق في وصفه لسان بكلمة ولا اختلجت في نعته شفتان بحرف لا زهدا فيه ولا عدم عرفان لحقه ولا غبنا لحقيقته كيوم شوقي الذي قال فيه :

غبنت حقيقته ومات جمالها * باع الخيال العبقري الملهم

وانما هو كلام الله وبيت الله عقدا الالسنة بجلالهما وحبسا النفوس على جمالهما . فجاء اليوم وجاءت كلية الشعب يقضيان من ذلك حقا غير مغفل .

ان يوم امس من ايام الامم ، ولايام الامم غرر لوامع في تاريخها ، ويد صناع في بناء مجدها . وصلة لا تنضب بتكوين اسباب بقائها وعظمتها . كما انها شهود ناطقة بما في الامة من معاني العز والعظمة .

لسنا نعني بايام الامم . هذه الايام المتعاقبة التى يجمعها نسق الاسبوع وتعرف بالاعلام وتمتاز بمراتبها العددية فى الشهر فقد تمر الآلاف منها على الامم من غير ان تجمعهم جمعها على مأثرة تكسبهم عزا ومن غير ان توحدهم احادها على عمل يرفع لهم ذكرا . ثم لا تكون زيادتها الا نقصا في اعمار الافراد وابلاء للجديد من حياة المجموع .

وانما نعني هذه الايام التى هى لمع في الدهور. وشيات في غرر العصور هذه الايام التى تعرف بما يقع فيها من الاعمال. لابما يوضع لها من الاعلام وتذكر بمآثارها في الامم.لابمواقعها من الاسبوع أو الشهر. هذه الايام التى تطول وتتسع حتى تستغرق القرون وتستوعب الاجيال، على حين يبقى غيرها محدودا بمطلع الشمس ومغربها ،

ان احدا من المسلمين لا يجهل يوم بدر ولا يجهل — وان كان عاميا — اثره فى ظهور التوحيد على الشرك ولكن قليلا منهم من يعرف ان اسمه يوم كذا وان نسبته من الشهر كذا ، وقد غربت شمس يوم بدر منذ مئات الآلاف من من الايام وجر عليه الفلك اذيال عشرات الآلاف من شركائه في الاسم فلم يعف له رسما ولم يطمس لـه اثرا . ومات معناه الزمنى المحدود ولكن معناه التاريخي النفسى لم يمت بل هو بـاق ما بقي الاسلام ، طويل العمر ما طال واسع المعنى ما اتسع .

ولقد علمتنا لغة العرب فنا في مصاص الاشياء فتعلمنا منه ان من النساء عقائل وان فى الاموال كرائم وان فى الجواهر فرائد وان فى النجوم درارى وان في الشعر عيونا وان فى الذخائر اعلاقا الى اخر ما يجرى على هذا النسق ، حتى اذا وصلنا الى الايام، وهذا اشد — من كل شيء — ارتباطا بشؤننا ، لم نجد لمصاصها فى اللغة الا اوصافا يتعاورها اشتراك الموصوفات . ويتجاذبها اختلاف الاعتبارات ثم يذيلها شيوع الاتصاف وتبذل الاستعمال حتى تقصر عن التادية ، خصوصا حين

يفيض الوصف التاريخي على الوصف اللغوي . وان من معجزات القرآن تسميته ليوم بدر بيوم الفرقان .

ولكن يسلينا ان ما قصرت فيه اللغة فلم تأت فيه بوصف يليق بجمالها وجلال هذه الايام . قد وفى به التاريخ فلم نحفظ من ايام الامم الكثيرة الا اياما قليلة فكان ذلك منه تعبيرا فصيحا على ان هذه الايام هى الخوالد من بين الايام البائدة . وهى الغرر في الكثرة البهيمة . وهى المشهودات وغيرها غفل . وكان ذلك منه وضعا تاريخيا يخصص الاوضاع اللغوية . فاذا قلنا هذا يوم خالد ويوم أغر ويوم مشهود اطمأنت النفوس الى تمام التادية ببراعة الوضعين التاريخي واللغوي :

أيها الاخوان :

إن يومكم الذي نتحدث عنه هو اليوم الاغر المحجل في تاريخ الجزائر الحديث ولا أبعد اذا قلت انه اليوم الاغر في قرون من تاريخ الاسلام .

هذا هو اليوم الذي يجب ان نؤرخ له فى الطور الجديد من اطوار نهضتنا العلمية الدينية . ونؤرخ به لمبدا ازدهارها واثمارها . ونموها وابدارها .

هذا هو اليوم الذي التفت فيه الامة حول دينها ولغتها فأثبتت أنها أمة مسلمة عربية يابى لها دينها أن تلين فيه للعاجم وتأبى لها عربيتها ان تدين فيها للاعاجم .

هذا هو اليوم الذي تعلن فيه هذه الامة انابتها الى ربها . وتكفيرها عن ذنبها . ورجوعها الى الله رجوع عبد اوبقته جرائره . وافتضحت سرائره وانقطعت أواصره . وعز مغيثه وناصره . وظن ان لا ملجأ من الله الا اليه . فرجع على الطريق التي منها هرب . فان هروب هذه الامة من الله هو تفلتها من كتابه وبعدها عن هدايته . والتماسها الوصول اليه على غير طريقه ، فضلت وتاهت قرونا وها هي ذي تفيء الى الله على طريق كتابه وسنة اصحابه وعسى هادي الحائرين ان

يعود عليها بعوائد بره واحسانه

هذا هو اليوم الذي يختم فيه امام سلفي تفسير كتاب الله تفسيرا سلفيا ليرجع المسلمون الى فهمه فهما سلفيا — في وقت طغت فيه المادة على الروح ولعب فيه الهوى بالفكر. وهفت فيه العاطفة بالعقل ودخلت فيه على المسلم دخائل الزيغ في عقائده وأخلاقه وأفكاره — وفي امة تقطعت صلاتها بالسلف وضعف تقديرها للقرآن فاصبح ملهاة مادان ومشغلة لسان. وأصبح حفاظها يقرءونه للتبرك او يتجرون به في المقابر. وعوامها ينزلونه منزلة التمائم والكرائث فيستشفون بحروفه من امراض سببتها الحرارة او جلبتها البرودة، وعلماؤها يدرسونه بلغة المصطلحات العرفية، ويتناولونه بأذهان حشيت بالافكار الطائفية. والتعصبات المذهبية. والمحامل الجدلية، والتوجيهات اللفظية، — وبكتب ملئت بالاسرائيليات المصنوعة.. والاثار الموضوعة. والنظريات والطلبة — وهم صرعى هذه الفتن — يتلقونه بالسنة جافت لبيان العربي وصرفتها العجمة في منهاج غير منهاج العرب ففسد الذوق واختل التصور — وبافكار غطى عليها الجمود وسد عليها منافذ التفكير — وبنفوس ركبها الملل والسأم. فرضيت بسماع ما لا يفهم وتلقي ما لا يعقل وهان الزمان في حسابها فاصبحت تنفق منه جزافا. واختل تقدير الاشياء عندها فاصبح كل مقروء علما وكل قاريء عالما.

وأشهد لقد كنت ضيفا بتونس منذ سبع عشرة سنة فقيل لي عن عالم من مشائخ جامع الزيتونة ومن أبعدهم صيتا في عالم التدريس: انه يقريء التفسير. فشهدت يوما درسه لأكون فكرة عن دراسة التفسير في ذلك المعهد الجليل. وكنت معنيا بهذا البحث، وجلست اليه أكثر من نصف ساعة. فوالذي نفسي بيده ما سمعت منه كلمة واحدة من الاية التي هي موضوع الدرس ولا لمحت امارة ولا اشارة تدل على ان الدرس في التفسير. وما كان كل الذي سمعت الا حكاية لجدل

عنيف وتمثيلا لمعركة لفظية مستعرة بين السيد الجرجاني وعبد الحكيم حول عبارة لعلها لمفسر من المفسرين الاصطلاحيين ، ثم انقضت الحصة وقام الطلبة المساكين يتعثرون تبدو عليهم سيماء التعب والملل والخيبة وقمت انا مستيقنا ان هذه الطريقة في التفسير هي اكبر الحجب التي حجبت المسلمين عن فهم كتاب الله ثم زهدتهم فيه وصدتهم عن موارده .

أيها الاخوان :

ان الامة الاسلامية التي يقرأ الناس اخبارها في التاريخ فيقرءون المدهش المعجب . ويرى الناس آثارها في العلم والتشريع والادب والحكمة فيرون الطراز العالي البارع فيستوى المحب والمبغض في الاعتراف بان أمة هذه اخبارها وهذه آثارها لهي الامة حق الامة ـ ان تلك الامة ما كانت أمة بذلك المعنى وتلك الاوصاف الا بالقرآن .

فالقرآن هو الذي رباها وادبها وزكى منها النفوس ، وصفى القرائح . وأذكى الفطن ، وجلا المواهب . وأرهف العزائم . وهذب الافكار . واعلى الهمم ، واستفز الشواعر . واستثار القوى . وصقل الملكات . وقوى الارادات . ومكن للخير في النفوس وغرس الايمان في الافئدة . وملا القلوب بالرحمة . وحفز الايدي للعمل النافع والارجل للسعي المثمر ، — ثم ساق هذه القوى على ما في الارض من شر وباطل وفساد فطهرها منه تطهيرا . وعمرها بالخير والحق والصلاح تعميرا .

أيها الاخوان :

قارنوا بين هذه الامة الاسلامية المطوية في بطن الارض وفي بطون الكتب — وبين هذه الامة الاسلامية التي تدب على وجه الارض تجدوا الفرق بعيدا جدا ووجوه الشبه مفقودة البتة مع وجود الاشتراك في الاسم والنسبة . ثم التمسوا

السبب تجدوه قريبا منكم ، — وما هو الا هذا القرآن اقامه الاولون وجمعوا عليه قلوبهم وراضوا نفوسهم على اخلاقه فعلمها الايمان والامان والاحسان ، واتخذه الاخرون مهجورا فحقت عليهم كلمة الله فى امثالهم . فمن لي بمن يرسلها فى مسلمي الدعوى والعصبية صيحة داوية : يا اهل القرآن لستم على شيء حتى تقيموا القرآن . ؟

***

ايها الاخوان :

ان هذه البسيطة لم تشهد منذ دحاها الله صلاحا عاما وسعادة شاملة كالذى جاءها به القرآن يوم انزله الله على قلب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانذر به العالمين ونشره ورثته الامناء من بعده نقي الجوهر ناصع الحجة .

وان هذا العالم الانساني لم يشهد منذ برأه الله على ظهرها افسادا عاما وشرا مستحكما وطاعونا اخلاقيا جارما الا مرتين — على كثرة ما شهد من الطواعين الجسمانية .

اما احداهما فكانت قبل الاسلام يوم كان العالم الانساني كله فريسة للاثرة والاستعباد والاستبداد والفساد والالحاد ويوم كان بحرا متلاطم الامواج بالرذائل ويوم كان العقل عبدا للهوى . والفكر عبدا للوهم والحقيقة امة للخرافة والفطرة رهينة الاعتلال والاختلال . ويوم كان هذا العالم كله خاضعا لشهوات مضطرمة وحيوانية عارمة ووثنية متغلغلة .

ولكن الله جلت قدرته تداركه — وبه رمق — بالاسلام دين السلام وكتابه القرآن كتاب العدل والاحسان ورسوله الامين يحمل منه للعالم المثخن الدواء الشافي ويمسح على مواقع الالم منه بالكف الحكاني . فما هى الا فترة حتى اصبح العالم يمرح في السعادة ويسبح في النعيم وينعم بالاخوة والتسامح ويتقاب

في اعطاف العدل.

واما الثانية فهي في عهدكم هذا .

ولو انكم تستشهدون التاريخ : اية المرتين كانت اشر واشر وادهى وامر . لقال لكم غير متجانف لاثم لقال لكم ان شر المرتين اخرتهما

ولسق لكم من الحجج ما لا تستطيعون له دفعا ، — فان الشر الاول كان من بعض دواعيه الجهل اما هذا الشر فكل دواعيه العلم . وقد كان الشر يعرض على الناس باسمه وفي ثوبه الحقيقي فاصبح يعرض عليهم باسم الخير وفي ثوب الخير . وقد كان العالم متباعد الاجزاء متقطع الاوصال . وفي تباعد الاجزاء تقليل من بواعث الشر فاصبح العالم مزدحما حتى ليكاد يلتحم . ومن ازدحامه والتحامه نشأت معضلته الاجتماعية الكبرى وهي مشكلة الاغنياء والفقراء التي لم يفلح في حلها علم العلماء ولا حكمة الحكماء ولا قوة الاقوياء ولا دهاء الدهاة . والتي تفاقم خطبها واضطرم لهيبها حتى اصبح بنو ءادم المتآخون في نسبه فريقين مضطغنين يتربص كل فريق باخيه دائرة السوء . ويا ويل هذه الارض اذا انفجرت الاحقاد بين ابنائها

وقد عرفنا التاريخ ان اصل البلاء بين البشر جاء من عصبياتهم المختلفة . وكان مما يهون تلك العصبيات انها محدودة وانها تعالج بعصبيات اخرى فيخف ضررها وتتلاشى قوتها — ولكن مشكلة اليوم ان تلك العصبيات التي كانت تنفع حينا وتضر احيانا ذابت كلها في عصبيتين جامحتين كلتاهما ضرر وكلتاهما شر .

ان رحمة الارض ءاتية من السماء وقد جاءت اديان السماء فعلمت الفقير كيف يرضى ويصبر وعلمت الغني كيف يحسن ويرحم فلماذا لا يرجع بنو الارض الى حكم السماء ورحمته ؟ ولماذا لا يلتمسون مثل الاحسان الكاملة في القرءان ؟

ايها الاخوان

هذا داء العالم البشري فاين دواؤه ؟ وهذا مرضه العضال فاين طبيبه ؟ وهل يتداركه الله بلطفه فيهدي البشر الى اتباع ما جاء به القرءان من تسامح

وتعاون على الخير ؟ .

فيا ايها المشفقون على العلم الانساني ان ياكل بعضه بعضا — انصحوه بالرجوع الى الاسلام وكتابه يجد فيهما ظلال السلم وبرد الرحمة وعز القناعة وشرف التقوى ويتمتع من كل ذلك بنعمة السلام .

ويا أيها المسلمون أنتم اطباء هذه المعضلات ولكنكم جاهلون، وانتم الحكم المرضي في هذه المشكلات ولكنكم غائبون . ولو كنتم حاضرين حضور سلفكم لمشاهد العالم ومنازعاته العامة لو قفتم — كما وقفوا — بعقائدهم وسطا بين التناهي والتقصير . وبزكاتهم المرضية حكما بين الغني والفقير . وبرحمة الاسلام سدا بين الآجر والاجير . واذا انتزعتم في طول العالم وعرضه الخير والرحمة . وكشفتم عن اقويائه وضعفائه كل كرب وغمة . واذا لرفعتم عن العالم هذه الاصار والاغلال وفزتم من بين حكمائه وعلمائه بتحقيق نقطة الاشكال .

ان العالم في عذاب . وعندكم كنز الرحمة، وان العالم في احتراب ، وعندكم منبع السلم، وان العالم في غمة من الشك وعندكم مشرق اليقين، فهل يجمل بكم ان تعطلوه فلا تنتفعوا به ولا تنفعوا .

طبقوا على انفسكم جزئية واحدة من إصلاحاته كالزكاة . واظهروا بها للعالم على صورتها العملية الكاملة . وحقيقتها العلمية العليا . ثم قفوا بين الصفين . لا كموقف عمرو بمصاحفه يوم صفين . وأشربوا نفوسهم ما اشربت نفوسكم من معنى قوله تعالى : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون » — ومن معنى قوله تعالى : قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون .

وانا الضمين لكم أنهما يتحاجزان ويتسامحان في طرفة عين . ان دينكم دين اصلاح وسبب اصلاح ومظهر اصلاح وكما اوجب عليكم الاصلاح بين المومنين مدح

الاصلاح بين الناس

أحيوا قرءانكم تحيوا به . حققوه يتحقق وجودكم به . افيضوا من اسراره على سرائركم، ومن ءادابه على نفوسكم ومن حكمه على عقولكم تكونوا به اطباء ويكن بكم دواء.

* *

ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاءذى القربي وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون

هذه الاية هى دستور الاسلام العام وهذه الاية هى التى نواجه بها كل من رمانا بالتعصب اوبالظلم اوبالانانية او بالقسوة . وصدى هذه الاية هو الذى سمعه الناس مرددا في الجامع الاخضر خمسا وعشرين سنة ءاخرها امس .

أيها الاخوان :

تكلم الخطباء والشعراء فى المعنى الذي أقيمت لاجله الحفلة . وهو تكريم اخينا الاستاذ عبد الحميد بن باديس وتمجيد اعماله في خدمة الدين والعربية والعلم وشغلتهم حقوق هذه الحفلة عن حق يوم امس المشهود ، وأوشكنا ان نضيع واجبه وان يمر فلايتغنى باوصافه لسان ، ولعل الاقلام تجفوه تبعا لذلك فلايجرى في وصفه قلم .

وقد توزعتني الخواطر حين قمت : أأسلك ما سلكه الخطباء والشعراء من تمجيد اخينا بما هو اهله ؟ ولو انى جريت فى هذا المضمار واسلس لى الكلام قيادة كان في ذلك الوفاء لاخينا المبجل . والجفاء ليومنا الاغر المحجل . وان انا قمت بما يوجبه الوفاء ليوم القرآن قصرت في حق أخ أعتقد أن ما قاله الشعراء والخطباء فى حقه قليل وكيف تفي حفلة مثل هذه محدودة الساعات بتمجيد رجل طوقت هذا الوطن مننه .

فان قمت ببعض ما يجب للقرآن وليوم القرآن فحسبي فى التنويه باعمال اخي الاستاذ ان هذا اليوم بعض حسناته .

محمد البشير الابراهيمي



وفود الوطن في يمين قاعة الاحتفال

كلمة المحتفل به

ختم الاستاذ عبد الحميد بن باديس حفلة تكريمه بكلمة بليغة شكر بها الوفود الحاضرة وعاد بهم الى الماضي فوزع معاني التمجيد والتكريم التي تجلت عنها الحفلة — على الاصول التي كونته . فكانت كلمته درسا فى التواضع وعرفان الجميل عرف منه الحاضرون ناحية نفسية من اخلاق الاستاذ المحتفل به . وقد حافظنا ما استطعنا على معاني تلك الكلمة اذ فاتنا ان ننقل الفاظها قال حفظه الله

ايها الاخوان :

انتم ضيوف القرآن . وهذا اليوم يوم القرآن . وما انا الا خادم القرآن .

فاجتماعكم على تنائي الديار وتباعد الاقطار هو فى نفسه تنويه بفضل القرآن ودعوة جهيرة الى القرآن فى وقت نحن أحوج ما نكون الى دعوة المسلمين إلى قرآنهم . فهل علمتم أنكم باحتفالكم هذا قمتم بواجبات اهونها ما سميتموه احتفالا بشخصي .

ان اقوال خطبائكم وشعرائكم كلها في الحقيقة إشادة بيوم القرآن ووفود القرآن وكل ما لي من فضل فى هذا فهو أنني كنت السبب فيه

أيها الاخوان

أنا رجل أشعر بكل ماله أثر في حياتي . وبكل من له يد في تكويني . وان الانصاف الذي هو خير ماربى عليه امرؤ نفسه — ليدعونى أن أذكر فى هذا الموقف التاريخي العظيم بالتمجيد والتكريم كل العناصر التى كان لها الاثر فى تكويني حتى تاخذ حظها مستوفى من كل ما أفرغتم على شخصى الضعيف من ثناء ومدح بالقول والفعل . فاني اشهد الله انكم بالغتم في التحفى بي والتنويه باعمالي وأشهد أن هذا التحفى عسير علي جزاؤه ثقيل علي حمله فلعلي إذا ذكرت هذه العناصر ووفيتها

حقها من الاعتراف لها بالفضل تنزعت حصصها من التنويه وتقاضت حقوقها من الثناء الذي أتقدم به كاهلي . ولأكن بذلك قد أرضيت ضميري وخففت عن نفسي .

إن الفضل يرجع أولا إلى والدي الذي رباني تربية صالحة ووجهني وجهة صالحة . ورضي لي العلم طريقة اتبعها ومشربا أرده وقاتني وأعاشني ورباني كالسهم وراشني وحماني من المكاره صغيرا وكبيرا . وكفاني كلف الحياة فلاشكرنه بلساني ولسانكم ما وسعني الشكر . ولأكل ما عجزت عنه من ذلك لله الذي لا يضيع جزاء العاملين .

ثم لمشائخي الذين علموني العلم وخطوا لي مناهج العمل في الحياة ولم يبخسوا استعدادي حقه وأذكر منهم رجلين كان لهما الاثر البليغ في تربيتي وفي حياتي العملية — وهما من بين مشائخي اللذان تجاوزا بي حد التعليم المعهود من أمثالهما لأمثالي — إلى التربية والتثقيف والاخذ باليد الى الغايات المثلى في الحياة .

أحد الرجلين الشيخ حمدان الونيسي القسنطيني نزيل المدينة المنورة ودفينها وثانيهما الشيخ محمد النخلي المدرس بجامع الزيتونة المعمور رحمهما الله

وإني لأذكر للاول وصية أوصاني بها وعهدا عهد به الي وأذكر أثر ذلك العهد في نفسي ومستقبلي وحياتي وتاريخي كله فاجدني مدينا لهذا الرجل بمنة لا يقوم بها الشكر فقد اوصاني وشدد علي أن لا أقرب الوظيفة ولا ارضاها ما حييت ولا أتخذ علمي مطية لها كما كان يفعله أمثالي في ذلك الوقت .

واذكر للثانى كلمة لا يقل اثرها فى ناحيتى العلمية عن اثر تلك الوصية في ناحيتي العملية وذلك اننى كنت متبرما باساليب المفسرين وادخالهم لتاويلاتهم الجدلية واصطلاحاتهم المذهبية في كلام الله ضيق الصدر من اختلافهم فيما لا اختلاف فيه من القرءان وكانت على ذهنى بقية غشاوة من التقليد واحترام ءاراء الرجال حتى

فى دين الله وكتاب الله . فذاكرت يوما الشيخ النخلى فيما اجده فى نفسى من التبرم والقلق فقال لى : اجعل ذهنك مصفاة لهذه الاساليب المعقدة وهذه الاقوال المختلفة وهذه الآراء المضطربة يسقط الساقط ويبق الصحيح وتستريح

فوالله لقد فتح بهذه الكلمة القليلة عن ذهنى آفاقا واسعة لا عهد له بها

ثم لإخوانى العلماء الافاضل الذين وازرونى فى العمل من فجر النهضة الى الان ، فمن حظ الجزائر السعيد ومن مفاخرها التى تتيه بها على الاقطار انه لم يجتمع في بلد من بلدان الاسلام فيما رأينا وسمعنا وقرأنا مجموعة من العلماء وافرة الحظ من العلم مؤتلفة القصد والاتجاه مخلصة النية متينة العزائم متحابة فى الحق مجتمعة القلوب على الاسلام والعربية قد الف بينها العلم والعمل — مثل ما اجتمع للجزائر في علمائها الابرار فهؤلاء هم الذين وري بهم زنادى وتألف بطارفهم تلادي اطال الله اعمارهم ورفع اقدارهم .

ثم لهذه الأمة الكريمة المعوانة على الخير المنطوية على اصول الكمال ذات النسب العريق في الفضائل والحسب الطويل العريض فى المحامد

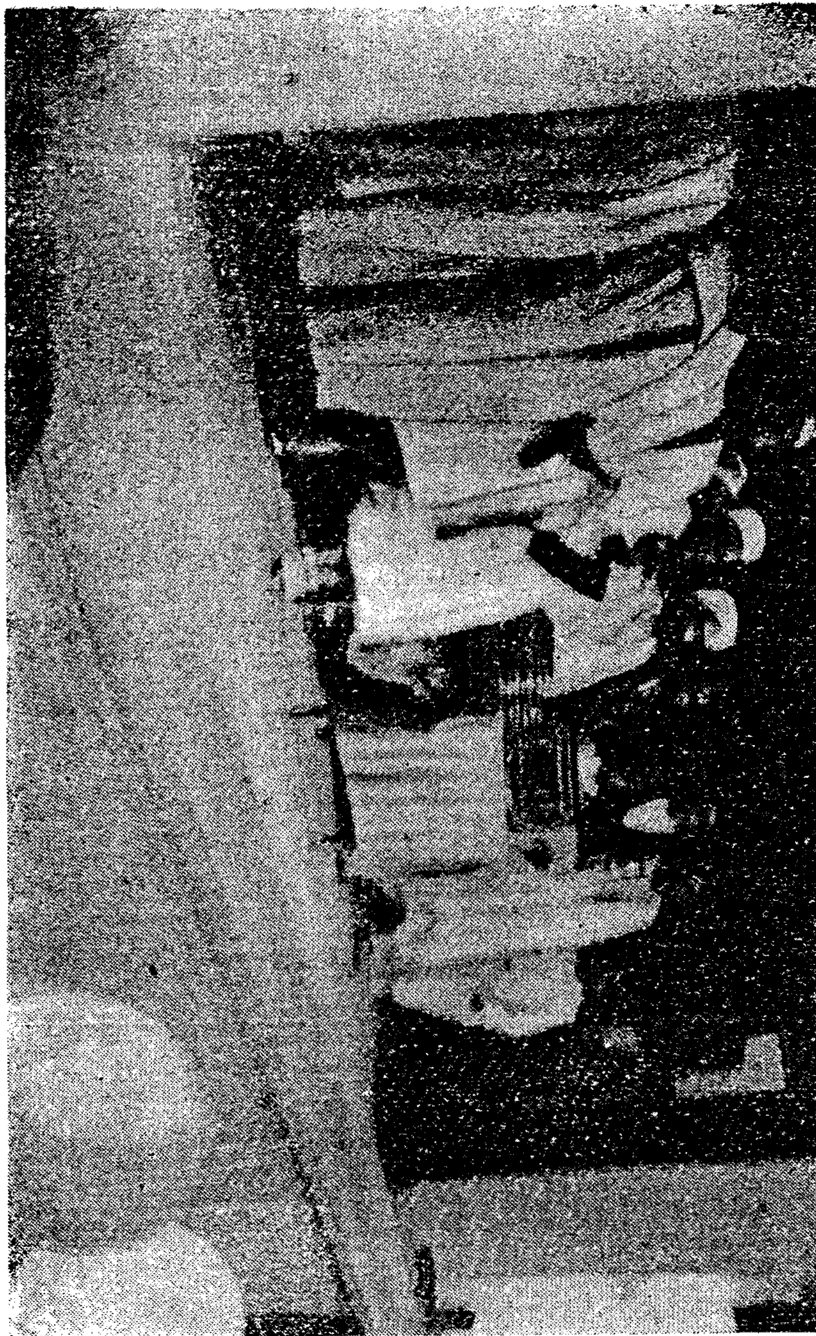
هذه الامة التى ما عملت يوما — علم الله — لارضائها لذاتها . وانما عملت وما أزل اعمل لارضاء الله بخدمة دينها ولغتها ولكن الله سددها في الفهم وارشدها الى صواب الرأي فتبينت قصدى على وجهه واعمالى على حقيقتها فاعانت ونشطت باقوالها واموالها وبفلذات اكبادها . فكان لها بذلك كله من الفضل فى تكويني العملي اضعاف ما كان لتلك العناصر في تكويني العلمي .

ثم الفضل اولا واخيرا لله ولكتابه الذى هدانا لفهمه والتفقه في اسراره والتادب بآدابه . وان القرآن الذى كون رجال السلف لا يكثر عليه ان يكون رجالا في الخلف لو احسن فهمه وتدبره وحملت الانفس على منهاجه

ايها الاخوان :

اذا لم يكن لى فى حياتى العلمية من لافت للقرءان الا تلك الكلمة التى سمعتها من الشيخ النخلي وقد فعلت فعلها فى نفسى واوصلتنى فى فهمه الى الدرجة التى تحمدونها اليوم فاننا — والحمد لله — نربى تلامذتنا على القرءان من اول يوم ونوجه نفوسهم الى القرءان في كل يوم وغايتنا التى ستتحقق أن يكون القرءان منهم رجالا كرجال سلفهم ، وعلى هؤلاء الرجال القرءانيين تعلق هذه الامة امالها ، وفي سبيل تكوينهم تلتقى جهودنا وجهودها . وان الذي ما وصلنا اليه هو تبيين الغاية وتلاقي الجهود . وفقنا الله واياكم للاعمال الصالحة ورزقنا الاخلاص فيها والثبات عليها انه سميع مجيب .





(تقديم الهدايا لفضيلة الأستاذ المحتفل به)

رسائل المحبين

جاءتنا رسائل عديدة نثرا ونظما ووددنا لو اتسع نطاق المجلة لنشرها كلها فنشرنا بعضها معتذرين عن بقيتها مع الشكر والتقدير

رسالة

الفقيه الجليل العلامة الشيخ الصالح بن الموفق القاضي المتقاعد بارك الله في حياته

الحمد لله وحده لما دعاني الاستاذ الاشهر سيدي الحاج عبد الحميد بن باديس الى الحضور لختم تفسير القرءان العظيم الذي دام فيه نحو خمس وعشرين عاما الذي يقع يوم الاحد الثاني عشر جوان سنة ١٩٣٨ على الثامنة صباحا بجامع سيدي الاخضر قرب رحبة الصوف بقسنطينة على الثامنة صباحا لبيت دعوته وحضرت في اليوم والوقت المعينين والفيت المسجد غاصا بالمدعوين فجلست قريبا من الاستاذ بحيث لا يغيب عن سمعي من تفسيره شيء ما ثم انه جلس على المنصة وبعد ان حمد الله تعالى واثنى عليه وصلى على نبيه شرع في تفسير المعوذتين وذكر أن المناسبة بينهما وبين سورة الاخلاص هي ان الله تعالى لما عرف عباده بتوحيده وانه الاههم وهو المقصود في جميع حوائجهم الدنيوية والاخروية وهو الذي من عليهم بالايمان الشبيه بالجوهرة الثمينة التي لا يعادلها شيء وبمقتضي ذلك يجب تحصينه بالتعوذ برب

الفلق ورب الناس والمخاطب بقول التعوذ هو النبي صلى الله عليه وسلم وامته وانه رب الفلق اي ضوء الصبح قال تعالى فالق الاصباح وهو اسم من اسمائه تعالى العظيمة والمتعوذ هو النبي وكل مؤمن من شرور اربعة احدها شر المخلوقات انسا وجنا وحيوانا وثانيها شر ما يقع حين يدخل الليل ويرخى سدوله وظلامه على ضوء النهار اذ عظائم الموبقات لا تقع الا به وثالثها السحر بطريق النفث في العقد بالنفس مع منع بعض الريق الصادر من لا يخشى او الذكر ولا تاثير له في العقل وانما هو بمثابة المرض والتعوذ بالسورتين الكريمتين دواء وترياق منه ورابعها حسد الشخص اذ استعمل حسده والا فكل انسان مجبول على الحسد فالمطلوب عدم استعماله حاشا الانبياء ومن عصمهم الله وحفظهم منه والحاسد هو الذى يتمنى زوال نعمة الغير وهو في الحقيقة يعترض على الله تعالى فاشدها الحسد ثم النفث في العقد من السحر ثم شرور الليل ثم شرور المخلوقات فقد ذكرت في السورة بطريق الترقى لا التدلي ثم قال المفسر وهاته الامور كلها واقعة من الله تعالى الفعال لما يريد على طريق الحكمة واسرار الغيب وانه لا ينسبها للشر الا المصاب بها لا غير ويوخذ من التنويم من هذه النفوس الشريرة الخبيثة اذ بمجرد نظرة ممزوجة بعبوسة ولمس بيد صادرين من المنوم للمنوم له يحصل لهذا الاخير النوم ويغيب عن رشده فالمنوم شبيه بذات السموم ثم شرع الاستاذ فى تفسير سورة قل اعوذ برب الناس الى اخر السورة بما ملخصه وعلى حسب ذهني الكليل ان فى تكرير لفظ الناس مع رب ومالك واله سرا عظيما حيث انه تعالى رباهم بنعمه التى تترا عليهم وانه المالك لارواحهم واشباحهم وانه الههم فوقع الحصر والاحاطة بهم في هذه الدواير الثلاث ولا يخرجون منها الى غيره تعالى اذ هو تعالى ربهم ومالكهم والههم فناسب تكرير لفظ الناس لذلك فليتحصن النبي وكل مومن بالله ربهما ومالكهما والههما من شر الوساس الى اخر السورة وادخل على هذا التفسير العجيب بقوله ان جوامع كلم القرءان العظيم وجوامع كلم النبي صلى الله

عليه وسلم لا يفسرها العلماء الا بما استطاعوا من موهبة الاله سبحانه وتعالى وانما يفسرها مرور الزمان ويظهر عجائبها لاهله فيكون ذالك دليلا قاطعا على ان معجزات القرءان وبلاغة جوامع كلم الرسول اللتين اعجزتا الانس والجان تتجددان بتجدد اهل كل زمان ولله دره في هذه النكتة العجيبة التى يثلج بها الفؤاد لما فيها من كمال بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم واعجاز كلام الله لاهل كل زمان ومكان ثم رجع الى اتمام تفسير سورة الناس فقال والتعوذ والتحصن بالله يكون من المتعوذ منه وهو شر الوسواس ويكون من الانس والجن لكن وسوسة الاولين اشد واضر من وسوسة الجن اذ هؤلاء الاخيرون فى الذكر انما تلقوها منهم فهم اساتذتهم في الشيطنة وان صاحب الوسوسة يلقيها الى من لم يحفظه الله منها سرا خائفا مترقبا ثم يخنس ويرجع القهقرى خوفا من ان يطلع على وسوسته احد ولا تأثير لها على قلب كل من يتحصن به تعالى فى سره ونجواه ويتيقن انه هو النافع الضار ولا تاثير لشيء من الكائنات في اثر ما وان قل بخلاف الناصح الامين فانه يلقي نصحه جهارا في جلوة لا فى خلوة ولا يخنس لان قوله فصل وحق واما ذو الشيطنة فانه شبيه بمن يختلس في خفاء ثم يخنس ويرجع الى الوراء خوفا من ان يطلع عليه احد فتبا له ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم ثم ختم الاستاذ السورتين ودام فى تفسيرهما من حفظه ساعتين بكامل الفصاحة والبلاغة مستحضرا الايات القرءانية والاحاديث النبوية والمثل الحكمية ومراعيا في تفسيره القواعد النحوية والاداب التفسيرية بلسان الفصاحة والبلاغة وكل واحد من الحاضرين لدرسه سواء كان قريبا او بعيدا يسمع تفسيره للسورتين كما يلزم وماذاك الا بنور العلم والتوحيد والموهبة الربانية وختم التفسير بادعية عامة نافعة ان شاء الله ببركة هذا الجمع الميمون لكل مخلوق وبالاخص المسلمين اجمعين ودعا للمحبس للجامع ولمن هو واسطة فيه ولمن احبه ولمن لم يحبه بالخير العميم اذ شان النفوس الكريمة ان تحسن الى كل من اساء اليها وان تصفح عنه الصفح

ولاء صادق من تلميذ قديم

الى اخينا السيد احمد ابو شمال بعد السلام والاحترام لاشخاصكم الكريمة المرجو من احسانكم تسطير ما اختلجت به صدورنا بين دفتي شهابكم المحمود قياما منا بالواجب في حتمنا وهو التنويه باستاذنا

وكلامنا فى ثلاثة مظاهر

ظهرت لنا يوم ختم التفسير المنير . الذي قام به الامام الكبير . صاحب السمو المقدام . حجة الله فى الجزائر للاسلام . شيخنا الشيخ عبد الحميد بن باديس امد الله فى حياته . حتى يظهر به وبامثاله قرآنه المصون . ويطهر الدين من البدع والضلالات . كما طهرها فى الايام السود على يد السلف الصالح . من الكفر وكل المجهولات وهاكذا العلماء الذين ورثوا النبي والذين معه أي اصحابه فى تبليغهم القرآن الى الخلق كما أتى والا فلا

الجميل قال تعالى (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) قرءان كريم وقد حضر هذا الختم المبارك اعاظم الرجال وفضلاؤهم من مختلف البلدان زيادة على أفاضل اهل قسنطينة جزاهم الله احسن الجزاء وهذا ما استحضرته من تفسير الاستاذ حماه الله وما هو الا غيض من فيض واتيت بهذا النزر اليسير من تفسيره الشفاهى حسب ذهنى الكليل تبركا بالقرءان العظيم وباهل العلم ونتفاءل من ذلك الختم على الحسنى ونعم المنى وشفاعة القرءن وشفاعة سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما

حرر بالخروب ١٢ في جوان سنة ١٩٣٨

الفقير لله تعالى دائما

ابن الموفق الصالح بن عبد القادر القاضى المتقاعد بالخروب

المظهر الاول

ان هذا الختم القرآني لم يسبق مثله في قطر الجزائر فلم تفد الوفود من كل صقع وصوب ، وتقطع مسافات الليالي والايام لأجل حضور ختم كهذا ونحن اخذنا هذا الشان من رواية التاريخ لنا . كان بعض العلماء النابغين من اسلافنا في الدول بجزائرنا لم يوفقوا وينتبهوا لهذا المعنى الارشق النفيس . من زمن الفتح الاسلامي الى اليوم .

المظهر الثاني

ظهرت بارقة اتحاد بين العلماء الاسياد . والنواب الاطواد . حيث أكرم الوفود ببيوت النواب وغير النواب. وهكذا القرآن الكريم المعجز يسير بطبعه البديع من قديم الزمان . في كل مكان . بالتأليف بين المتوادين المتحابين . وقد الف الله به بين الاوس والخزرج بعد الخلاف الذي دام بينهم نحو المائة سنة بيثرب قبل تسميتها بالمدينة يوم نزوحهم من اليمن بسبب سيل العرم وكيف لا يتوادد الاسلام ويتحابب وقرآنه واحد

المظهر الثالث

ان رجال قسنطينة أمد الله في حياتهم وحياة امامنا واما هم بينهم ربطوا حاضرهم اليوم بماضيهم الذي كان يقال فيه عن الكرم أيام الدولة العباسية للكريم البرمكي

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكنني عبد ليحيي بن خالد

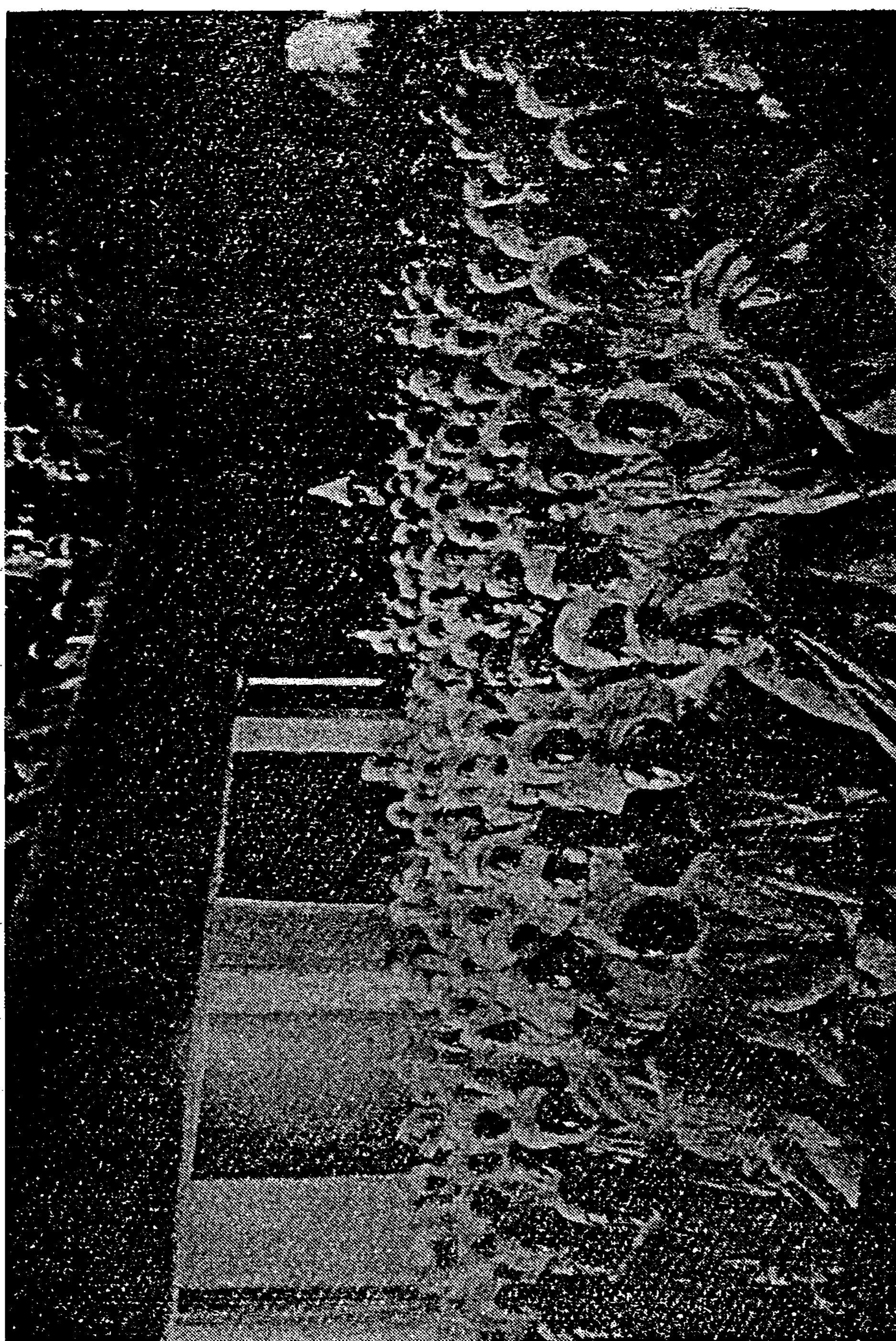
فالكرم اليوم عبد لاهل قسنطينة وحدهم بمعنى كان نسيا منسيا وهم تنبهوا لتسخيره تحت ايديهم فى زمن ابنهم البار عبد الحميد الباديسي واذا جاز ما يضارعه من اخواننا التلمسانيين فانه لم يقدر لي حضوره . وبالطبع فالكرم هو الداعية للمحبة والمودة . وتدبيجنا لهذا يقصد منه الاقتداء بهم . وتكريره من غيرهم . حتى يعم

الاتحاد بين العباد . ويذهب الفساد ويأتى الائتلاف . ويزول الخلاف من بين الجزائريين . الا ترى ايها القاريء الى العبادات المطلوب تكرارها مثل الصلاة والصيام وغيرهما الا ويقصد من ذلك التكرار الرد على الشيطان الفتان . كأن المتعبد يقول للشيطان ارد عليك باعادة عبادتي . واصحح ايماني اقوى من قبل . وعند ذاك يستوي المسلمون فى الايمان .

كذلك الكرم اذا تكرر بين الامة فانه يرد على شياطين الانس الذين يجتهدون في التفرقة ولا يبغون مودة ولا محبة للامة جعل الله كيدهم فى نحورهم اللهم طهر قلوب الجزائريين من الخلاف المذموم . وهنا اشرف منظر اخوانى القراء بانى من تلاميذ الاستاذ . وايامي الدراسية امامه فى أول نزوله بالجامع الاخضر . وسع الله فى عمارته الدراسية . ومن المعاصرين إلي أخي الشيخ عبد السلام السلطاني وأخي السيد مصطفى بن الاحمر من اولاد ابو حامة وقد تاخرا عن الكتابة مثلي مع ان الشيخ تعب معهما اكثر مني ولا افوتهما الا بحضور الاجتماع العام للعلماء وهذا الختم القرآني الشريف . فباول ما سمعت نظم السيد الحاج احمد البوعوني تذكرتهما أما الشيخ عبد السلام لعل أبعدته المسافة عن اخبار الجزائر لكونه بمملكة تونس وأما السيد مصطفى لا ادري ما سببه جعل الله المانع خيرا .

فلتحي قسنطينة . ليحي أهلها الكرام . وليحيى زعيمها الروحي

الدراجي بن سليمان بتاملوكة



وفود الوطن في شمال قاعة الاحتفال

حفلة الختم

تليت فى الاحتفال وجاءت متأخرة فنشرناها فى رسائل المحبين

أنا لم أتعرض لمدح الاستاذ الجليل ذي الفضل الجزيل ولا لشكره على أعماله النافعة وايا ديه البيضاء على الاسلام والعربية وبالاخص على الجزائر الفتية لاني أعد ذلك من باب قولهم : السماء فوقنا والارض تحتنا أو كالتعريف بالشمس لذي عينين وما الى ذلك من المعلومات الضرورية التي لا يجهلها أحد على وجه البسيطة كذلك اعد مدح الاستاذ الامام وذكر فضائله .

وكفى هذا المهرجان العظيم مدحا لشخصه الكريم وشكرا لفضله العميم .

قسنطينة محمد الصالح

برزت ويوم الحادثات كأنه من فرط هول الدهر بحر يزخر
بحر له لجج كأن أجيجها رعد وذاك اليوم ليل ممطر
ليل كثير الهم داج حالك لا نجم يهدي أو طرائق تظهر
ليل عظيم ما سمعت بمثله فيما مضى ابدا ولا يتصور
فيه الرعود المزعجات كأنها صوت المدافع أو أسود تزأر
والسحب تلهب بالبروق وتلتظى ولربما رمت الصواعق تنذر
ظهرت كطيف من بعيد فى الفضا متدحرج بين العواصف يعثر
جاءت مهفهفة ولما أن أتت خرجت لها الفتيان تحمد تشكر
يا قوم حيوها وحيوا أهلها بالشعر أو بالنثر لا تتأخروا
ليست سعاد لا ولا لبلى بلى بل (حفلة) زهرا وهذا المظهر

أكرم بها من (حفلة الختم) التي يبقى صداها في القلوب يذكر
ماشيمتي التشبيب اوذكر النسا كلا ولا الخمر للمين المنكر
أنا مسلم لا أعتني إلا بما فيه الصلاح لملتي أو مفخر
والدين والوطن المفدى ولغتا لا أنثني من فكرتي أو انبر
إني لهم حيا وميتا فاشهدوا يا قوم أني بالفداء مبادر
روحي ونفسي والجوارح كلها وقف على ذلك التراث محجر
ما إن أبالي في هواه مضرة بالضرب أو بالطعن لا أتأثر
بالسجن أو بالنفي بل والشنق لا أخشى من التعذيب أو أتضور
هذى الطبيعة بالدما ممزوجة (والطبع فى الانسان لا يتغير)
وبحسبي فخارا أنني أغدو فدا ديني الحنيف وامتي لا ادبر
هيهات يسعد مسلم ما لم يكن في نفسه للدين شيء يذكر
آليت عن نفسي يمينا صادقا أن أخدم الدين القويم وأجهر
أهلا وسهلا بالضيوف ومرحبا وتحية ملء الفضا تتكرر
هذي قيلنطين الكريمة صفقت لمجيئكم وزهت وها هي تفخر
حيوا العروبة في نفوس رجالها والعلم والاسلام لا تتأخروا
هذى الزعيمة في الجزائر كلها حملت لواء للمعالي انضر
وبنت معاقل للعروبة أسها دين واخلاق وعلم زاهر
هذا شعور المسلمين وجدته متجليا فى جلهم لا ينكر
كل يمجدها ويشكرفضلها بين العواصم فى الجزائر يفخر

(قسنطينة) محمد الصالح رمضان التلميذ بالجامع الاخضر

جمعية العلماء المسلمين بها

أتشرف بتقديم هذه الابيات راجيا منكم أن تنشروها في عددكم الخاص من مجلة الشهاب ولكم الشكر سلفا والسلام عليكم

مالي يهيجني شجو وتذكار فملء قلبي اشجان وافكار
طيف الشباب يعود القلب فى غلس من الهموم ودمع العين مدرار
يسوءنى أن مضى عمري وانصرمت تلك الحبال وشط الاهل والدار
قفوا عليها اصيحابي وقد ندفت اطلالها الريح إمامل تسيار
فيها المغاني وان جفت ازاهرها تزكو كما قد زكت في الروض معطار
سلوا الرسوم عن الأقمار زاهية هل في الرسوم من الأحباب اقمار
بلى، بلت أرسم منها وما رجعت ءاراءها وعفت للدار آثار
إني وإن غيبوا عني ليذكرهم مني في الشعر مهيار وبشار
لئن عداني سعد كنت اطلبه فانما السعد أقسام وأقدار
رؤيا ابن باديس حظ لو رزقت به لكان لى لهموم الدهر إعذار
العالم الفذ من تسمو فضائله على الورى فله للمجد آثار
بهمة ماله فى الناس من كفؤ وصحبة ما لهم فى افقهم جار
جمعية العلماء المسلمين بها بنى ابن باديس صرحا ليس ينهار
اذ خيم الليل ليل الجهل واتسعت مضارب الوهم لاحت منه انوار
سما على الناس حتى ليس يدركه شعرى ولا زحل فى الافق دوار

ما للجهالة الا العلم يكبتها فقس بعلمك إن العلم معيار
وليس للناس دون الدين من رشد وانما الناس دون الدين أشرار
زهت قسنطينة الغراء فى عرس للعلم قام ففيه الآي أوتار
فأمها الخلق افواجا وقد كسيت حسنا كما ألبس الاكام آذار
يا ليتني كنت فيهم طائرا غردا وإن لحني والانغام أشعار
يا شعر بلغ سلامي الشيخ ان له فضلا علي وذاك الفضل مختار
وهنه بحياة عم طائلها كما تعم الذرى والسهل أمطار

الجزائر

ميموني عنتر

تلميذ كان قرأ سنة أو سنتين عندنا

كلمة عن الجامع الاخضر

عمر راشد

الجامع الاخضر أحد الجوامع الثلاث الجمعية الباقية بعد الاحتلال الفرنسي بقسنطينة .

أما مؤسسه فهو حسين بك بن حسين ١١٤٩—١١٦٧ ه ١٧٣٦—١٧٥٤ م فحكم البلاد ١٧ عاما مقتفيا اثر سلفه في سياسة التعمير والانشاء فنظم المدينة وخطط شوارعها وانشأ منازل رفيعة وبناءات ضخمة لكامل أعيان البلد . وحافظ على توطيد الامن طيلة مدة حكمه . وكما كان له ولع بالعمارة كانت له عناية فائقة بالعلم(١) فقد وجد في المحفوظات الكتابية اذن صدر منه لعائلة ابن وادفل فى تاسيس مدرسة عليا للحقوق بالمسجد الذي امرهم بتاسيسه في عين فوا . وبنى الجامع الاخضر للتعاليم كما هو منقوش فوق مدخل بيت الصلاة وهذا نصه :

« امر بتاسيس هذا المسجد العظيم ، وتشييد بنائه للصلاة والتسبيح والتعليم ، ذو القدر العلي والتدبير الكامل وحسن الراي ، أميرنا وسيدنا حسين باي أدام الله ايامه . وكان تمام بنائه اواخر شهر شعبان سنة ست وخمسين ومائة والف » ودفن مؤسسه – رحمه الله — فى التربة المجاورة للجامع مع عائلته وبعض العلماء رحمهم الله اجمعين .

---

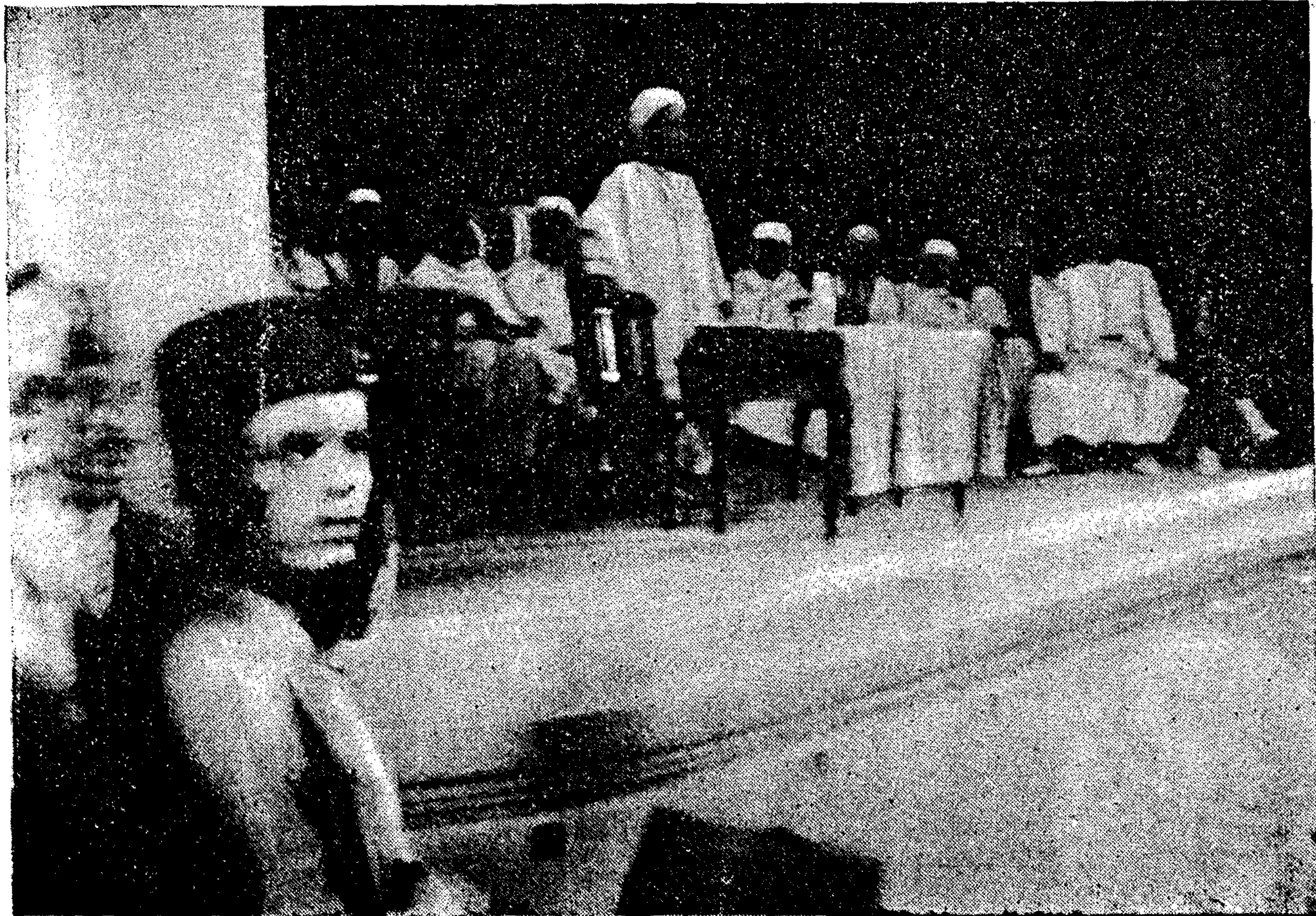
(١) راجع ترجمته فى كتاب قسنطينة تحت البايات باللسان الفرنسي

والجامع لهذا العهد ليس له مدرس رسمي أما فى العهد الماضي فلا شك انه كان به من يدرس العلم اذ لا شك ان مؤسسه — وقد كان مشهورا بنشر العلم وبنى مسجده للتعلم — لا بد ان يكون اوقف اوقافا للتعليم فيه فاستولت عليها السلطة كما استولت على سائر الاوقاف .

أما بداية تعليمي فيه فقد كانت اوائل جمادى الاولى عام ١٣٣٢ ه وكان ذلك بسعي من سيدي ابي لدى الحكومة فاذنت لي بالتعليم فيه بعد ما كانت منعتني من التعليم بالجامع الكبير بسعي المفتي في ذلك العهد الشيخ المولود بن الموهوب .

وقد يسر الله لنا بفضله القيام بالتعليم فيه الى اليوم والله نسأل أن يجازي كل من أعاننا فيما قمنا به كل خير وان ييسر لنا القيام بخدمة العلم فيما بقي من العمر . وأن يختم لنا بخاتمة السعادة اجمعين آمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

عبد الحميد بن باديس



فضيلة المحتفل به يلقي كلمة الشكر

فهرس «شهاب» الختم

فهرس الرسوم